نسخة مُحدَّثة

فقيه في الظل دائرة

« سطور تعريفية توثيقية لسيرة الفقيه المجاهد ، سماحة آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، السيد محمد صادق الروحاني قدس سره ومعالم شخصيته المباركة، وآثاره العلمية »

ضياء السيد عدنان الخباز

فَقِيهٌ في دَائِرةِ الظِّل

" سطورٌ تعريفية توثيقيّة لسيرة الفقيه المجاهد ، سماحة آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، السيّد محمد صادق الحسيني الروحاني قدس سره ومعالم شخصيته المباركة ، وآثاره العلمية "

بقلم
ضياء السيد عدنان الخباز

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين أبدَ الآبدين

أما بعد :

فهذه مقالات متناثرة سبق وأن حرررتها في مناسبات مختلفة، وقد تمَّ نشرُ جميعها في مواضع متعددة، ما خلا واحدة ، ونظراً لتفرقها وتناثرها فقد استحسنتُ نظمها وجمعها في مجموع واحد ، وهو هذا المجموع الذي بين يديك ، ويتكوّن من سبع مواد ، وهي :

١ . **المادة الأولى :** إطلالة على السيرة الذاتية ، وهي منتزعة من كتابي (دوحةٌ مِن جنّة الغري) ، المطبوع سنة ١٤٣٢ هـ ، وقد أضفتُ إليها إضافات واسعة ومهمة.

٢ . **المادة الثانية :** بين يدي الأستاذ الروحاني ، وهذه المادة لم يُكتب لها أن تُنشر مسبقاً ، وهي تضمُّ انطباعاتي حول شخصيته المباركة ، وأهم ذكرياتي وخواطري معه .

٣ . **المادة الثالثة :** مكانة موسوعة (فقه الصادق) في الفقه الإمامي ، وسبقَ لها أن طُبِعت كمقدمة للطبعة الخامسة من كتاب فقه الصادق سنة ١٤٣٥ هـ ، وأضفتُ لها وللاحقتيها إضافات مهمة أيضاً .

٤ . **المادة الرابعة :** أضواء على كتاب (منهاج الفقاهة)، وسبقَ لهذه المادة أن طُبعت كمقدّمة للطبعة السادسة من الكتاب سنة ١٤٣١ هـ .

٥ . **المادّة الخامسة :** أضواء على كتاب (زبدة الأصول) ، وسبقَ لهذه المادة أن طُبعت كمقدّمة للطبعة الخامسة من الكتاب سنة ١٤٣١ هـ .

٦ . **المادة السادسة :** أضواء على كتاب (فقه الاجتهاد والتقليد)، وسبقَ لهذه المادة أن طُبعت كمقدمة للطبعة الثانية سنة ١٤٣٤ هـ.

٧ . **المادة السابعة :** أضواء على كتاب (فقه المسائل المستحدثة)، وسبقَ لهذه المادة أن طُبعت كمقدّمة للطبعة الخامسة من الكتاب سنة ١٤٢٥ هـ .

ولا هدف لي من جمع هذه المواد سوى رفع بعض الظلامة الواقعة على سيديّ الأستاذ (قُدّس سرُّه الشريف) ، والتعريف ببعض ما خفي من معالم شخصيته المباركة ، وإني لأعلم بأنَّ بعض هذه المواد أو كلّها لن تعجب بعض الأشخاص ، ولكنني لا يهمني رضاهم أو غضبهم ، فقد كتبتها لوجه الله تعالى ، أداءً لحق الأستاذ (أعلى الله في الجنان مقامه) ، وشهادةً بين يدي التاريخ، لئلا أُكتب ممّن يكتمون الحق وهم يعلمون ، والله من وراء القصد.

وأما لماذا عنونتُ هذا الكتاب بـ (فقيه في دائرة الظل) ، وليس (في دائرة الضوء) ؟! فهذا ما أترك اكتشاف جوابه للقارئ بعد إتمام قراءته له ؛ إذ أنني على أتمّ اليقين بأنه سيتفاجأ بالكثير من المعلومات والحقائق التي غابت أو غُيّبت زمناً طويلاً لسببٍ أو لآخر، علماً بأنني لم أذكر جميع ما لديّ من المعلومات ، فإنَّ بعضها مما لا تحتمل ذكره النفوس ، ولعلَّ الزمن يتكفّل بكشفه عاجلاً أو آجلاً .

ولا يفوتني أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أنَّ بعض المعلومات – وهي جدُّ قليلة – ربما تكرّرت في ثنايا هذا الكتاب، بحكم أنّه مكوّنٌ من عدّة مقالات متفرقّة ، وقد بذلتُ جهدي في إلغاء المتكرِّر ، فتمَّ ذلك في بعض الموارد ، ولكنّه تعسّر في بعضها الآخر .

كما وألفت النظر إلى أنَّ موادّ هذا الكتاب قد جُمعت قبل مدة قريبة في حياة سيدنا الأستاذ الأعظم (رضوان الله تعالى عليه) ، ولم أشأ – بعد وصول نبأ رحيله الصاعق – أن أستبدل عبارات الدعاء له بدوام البركة والظل بعبارات الدعاء له بطيب المثوى وتقديس السر وعلوّ المقام ، لأنَّ المواد بتمامها قد كُتبت في ظلّ حياته الشريفة، وتاريخ كتابتها موثق في آخرها ، فلئلا يتناقض الأمران أبقيتُ عليها كما هي .

وفي الختام أسأل الله تعالى لسيدنا الأستاذ الأعظم (أعلى الله درجته ، ورزقنا شفاعته) المقامَ الرفيعَ في الفردوس الأعلى مع أجداده الطاهرين عليهم السلام ، وأن يعوّض حوزة العلم والدين والتشيّع عن خسارة فقدهِ الجسيمة خير العوض ، فإنَّ مثله قدس سره وإن قلَّ أن يتكرر في التاريخ ، ولكنّه (تعالت أسماؤه) لطيفٌ قديرٌ سميعٌ مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد للهربِّ العالمين ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون .

ضياء بن المرحوم السيد عدنان الخباز القطيفي
الإثنين ٢٤ / ٥ / ١٤٤٤ هـ

إطلالةٌ على السيرةِ الذاتية

كـذا أخـوهُ (الصـادقُ) المجاهـدُ ... فـي الفقـهِ والأصـولِ فكـرٌ رائـدُ
شـدَّ عُـرى الفقـهِ بـ (فقـهِ الصـادقِ) ... وفيـهِ قـد أفـاضَ بالدقائـقِ
فبيـنَ كفيـهِ العلـومُ تنبـعُ ... وفكـرهُ كالشـمسِ دومًـا تسـطعُ
وكانَ فـي جهـادهِ مهنـدا ... يصـبُّ جـامَ نـارهِ فـوقَ العـدا
فهـوَ بميـدانِ العلـومِ عالِـمُ ... وفـي ميادينِ الجهـادِ صـارِمُ
إنْ رمـتَ فقهًـا فهـوَ عنـدَ مِنبَـرِهْ ... أو خُلُقًـا فاشـرب معيـنَ كوثَـرِهْ

هـو سـيّدنا وأسـتاذنا وسـنادنا وملاذنـا ، وصاحـب الفضـل الكبيـر علينـا ، سـماحة آيـة اللّه العظمـى ، المرجـع الدينـي الكبيـر ، الفقيـه المحقـق ، والأصولـي المدقـق ، السـيد محمـد صـادق الروحانـي (دامت بركاتُ وجودهِ الشريف) .

أسرته :

هـي أسـرة العلـم والفقاهـة والزعامـة المعروفـة بأسـرة (الروحانـي) ، وهـي مـن الأسـر الحسـينية التـي أناخـت رحالهـا فـي قـم المقدسـة منـذ زمـان قديـم ، وتاريخهـا حافـلٌ برجـالات العلـم والزعامـة والمرجعيـة ، وفـي طليعتهـم جـدُّ سـيدنا الأسـتاذ وسـميّه، سـماحة آيـة اللّه المقـدّس ، المرجـع الدينـي، السـيّد صـادق الروحانـي (أعلـى اللّه درجتـه) ، زعيـم قـم المقدّسـة فـي زمانـه ، ومرجـع النـاس ومفزعهم .

ومن مبرزّي رجالاتها : والده الحجّة ، سماحة آية الله ، السيّد محمود الروحاني (طيّب الله تربته) ، الذي كان أحد أعضاد الفقيه المؤسّس ، سماحة آية الله العظمى ، الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره في تنشيط الحوزة العلمية في قم المقدسة وإعادة الحياة إليها ، كما كان يعدُّ من أعلام أساتذتها .

ومن صلب هذا الأب العظيم وذلك الجدّ المقدّس انحدر سيدنا الأستاذ دام ظله ليكون الغصن المثمر لشجرةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء ، إلى جانب غصنها الآخر ، أخيه الأكبر ، سماحة آية الله العظمى، الفقيه المدقِّق والأصولي المحقِّق ، السيّد محمد الروحاني(أعلى الله مقامه الشريف) .

مسيرتُهُ العلمية :

وُلدَ في مدينة (قم المشرفة) في ليلة الجمعة الخامس من شهر محرم سنة ١٣٤٥هـ [١] ، ونشأ فيها محبًا للعلم والمعرفة ، حتى أنه أنهى دراسة المقدمات وهو بعدُ لم يتجاوز العاشرة من عمره،

---

(١) أرّخ ولادته المؤرّخ الرازي (رحمه الله) في (آثار الحجّة) : ٢ / ٩٥ بسنة ١٣٤٠ هـ ، والصحيح ما أثبتناه أعلاه ؛ إذ هو ما كتبه والده المقدّس ، سماحة آية الله ، السيد محمود الروحاني قدس سره على مصحفه ، وإليك نصّ المكتوب : (بسم الله تعالى . تولّد نور چشمى ميرزا محمد صادق : ليله جمعه ، بن‌چم شهر محرم الحرام ، ١٣٤٥ ، اللهمّ اجعلهُ من الصالحين) .

وقد ساعده على ذلك نبوغه المبكِّر وعبقريته المتوقدة، ولمَّا بلغ العاشرة من عمره هاجر منها إلى حوزة العلم الكبرى في (النجف الأشرف) ، بمعية أخيه الأكبر ، سماحة آية الله العظمى ، السيد محمد الروحاني (طيَّبَ الله ثراه) ، وكانا معاً برفقة عمِّ والدتهما المرجع الديني الكبير ، سماحة آية الله العظمى ، الزاهد المقدّس، السيد حسين القمي[1] قدس سره وأسرته الكريمة[2] ، حين هجَّره الشاه رضا خان إلى العراق على إثر مواجهته لقراراته المناهضة للدين والشريعة ، والتي منها قراره بنزع الحجاب عن النساء ، وتطبيقه لذلك تطبيقاً ميدانياً بكلِّ قسوة وصلافة .

وفي النجف الأشرف استقرَّ السيّدان الأخوان الجليلان بعد قرابة سنة كاملة أمضياها في كربلاء المقدسة – حيث كان يقيم الآغا القمي قدس سره – جاورا فيها سيد الشهداء عليه السلام، وانتهلا من بركاته، واستفادا من أعلام أساتذتها ، كسماحة آية الله العظمى، المرجع الديني العظيم ، السيّد محمد هادي الميلاني قدس سره .

(١) فوالدتهما هي ابنة إمام الجماعة في حرم السيّدة المعصومة عليها السلام ، وأحد أساتذة حوزة قم المقدسة ، العالم التقي ، السيّد أحمد الطباطبائي القمي (طاب ثراه) ، وهو الأخ الشقيق للآغا حسين القمي قدس سره .

(٢) وهذا ما سمعته من أحد أبناء الأسرة ، وأظنني سمعتُ من سيدي الأستاذ (دام بقاؤه) – ولستُ قاطعاً – : بأنَّ هجرتهما إلى العراق كانت بمعيّة أسرة السيد القمي فحسب ؛ إذ أنّه بعد أن تمَّ تهجيره لحقت به أسرته في الأثر ، والله العالم .

أساتذته :

وعند أساتيذ حوزة النجف الأشرف حضر السيّد الأستاذ دام ظله دروس السطح العالي – بعد أن أخذ الأوليّات لدى والده المقدّس (أعلى الله درجته) في قم المقدّسة – وقد كان حضوره لها في بعض حلقات مسجد الهندي – وهو في حدود الحادية عشر من عمره – مثاراً للتعجب ، كما أنّه قد حضر بعضها حضور التقرير ، فكان هو الذي يقوم بشرح الدرس بين يدي أستاذ معيّن ، اعتماداً على جهده الذاتي ، وكان دور الأستاذ هو الإنصات والتقويم ، وأظنني سمعتُ منه دام ظله أنّه قد أنهى دراسة كتاب اللمعة بهذا النحو في حدود شهرين أو ثلاثة أشهر[1] .

وقد بدا لي من بعض الموارد أنَّ السيّد الأستاذ دام ظله – لتوقّد ذهنيته وقوّة حافظته – كان يحفظ الكثير من متون السطح العالي عن ظهر قلب ، حيث كان يستشهد أحياناً في بحثهِ الشريف ببعض عبارات الشيخ الأعظم قدس سره في الرسائل والمحقق الآخند قدس سره في الكفاية، ويسوقها سوقاً عن ظهر قلب ، وهو ما

---

(١) وكان أستاذه فيها هو العالم المجاهد ، سماحة آية الله ، الشيخ غلام حسين التبريزي (طاب ثراه)، وهو من تلامذة السيد اليزدي والمحقق الآخند وشيخ الشريعة الإصفهاني (قُدّست أسرارهم) ، ويحتمل أنَّ حضوره عنده كان في كربلاء المشرفة ، حين استقرَّ فيها لبضع سنوات على إثر مطاردة الشاه له .

وسمعتُ من الأستاذ دام ظله أنَّ قراءته للمعقول كانت أيضاً بنحو التباحث المتبادل مع المتخصّص في العقليات ، والأستاذ المتمرِّس فيها ، سماحة آية الله ، الشيخ صدر البادكوبي (طاب ثراه) .

وممّا يجدر التنبّه له هو : أنَّ هذا النحو من الحضور ليس شرعة لكلّ وارد ، وإنما هو للنوابغ وذوي المستويات العالية من الذكاء ، ولا بدَّ أن يكون تحت إشراف أساتذة أكفاء ، فلا ينبغي للطالب الذي يجد في نفسهِ شيئاً من النباهة وحظّاً من الذكاء أن يغترَّ بذلك ، ويوهم نفسه الاستغناء عن الحضور لدى الأساتيذ ، فإنَّ النتيجة تكون تابعة لأخسّ المقدمات ، ولات حين مناص .

لفت نظري وأثار انتباهي ، فقلتُ له ذات مرّة : سيّدنا إنّي أشكُّ في أنّكم تحفظون متني الكفاية والرسائل !! فابتسم في وجهي كعادته ، ثمَّ قال: (إنَّ حسن الظنِّ أمرٌ جيّد) .

ونظراً لهذا التميّز فقد تحدَّث السيد الخوئي قدس سره عنه لزميله السيد الميلاني قدس سره ، فقال : " إني لأفتخر بالحوزة الإسلامية التي يدرس فيها طالبٌ بعمر الحادية عشرة إلى جانب الطُلّاب الكبار سناً ، ويقرأ مكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره ، ويفهم محتوياته أفضل منهم، ويحللها بشكل أدق ".

ثمَّ حضرَ الأبحاث العالية عند كبار أساتذتها ، كالمحقق الأصفهاني ، والشيخ محمد كاظم الشيرازي ، والشيخ محمد علي الكاظمي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني ، والمحقق الخوئي (قدّست أسرارهم) .

(السيد الروحاني دام ظله بجانب والده السيد محمود الروحاني قدس سره)

واختصّ بهذا الأخير ، فلازَمَهُ مدَّة مكثهِ في العراق ، أي : قرابة أربع عشرة عاماً ، حتى عُدَّ في طليعة تلامذته ، وقد تحدثَ المحققُ السيّد الخوئي قدس سره عن تلميذه هذا – وهو في العقد الثاني من عمره الشريف فقط – فقال مقرِّظًا تقريرَه لأبحاثه العليا في الفقه والأصول : (إني قد لاحظتُ منه مواقع عديدة، وجملاً مفيدة ، فألفيتها تقريرات سديدة ، تعرب عن الحقائق التي تلقاها من محاضراتي التي كنت ألقيها ، وتكشف عن الشوارق التي اقتبسها من المباحث التي كنت أمليها ، بما جعله عندي على صغر سنه، كبيرًا في فنه ، فذًا في دقة نظره، وقوة ذهنه ، واستقامة سيره، وسرعة وصوله فيما حرَّرهُ وقرَّرهُ من مباحث العلمين العظيمين الكبيرين : علم الفقه وأصوله).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين

قد كنت قبل الآن قد اطلعت على هذا التقرير الرشيق والتحرير الرائق الذي جاد به يراع الفاضل النبيل والسيد الجليل صاحب التحقيق الرفيع والفكرة النقادة السيد محمد صادق الحسيني الروحاني أيده الله تعالى وقد لاحظت منه مواقع عديدة وجملاً مفيدة فألفيتها تقريرات سديدة تعرب عن الحقائق التي تلقاها من محاضراتي التي كنت أمليها وتكشف عن الشوارق التي اقتبسها من المباحث التي كنت أمليها بما جعله عندي على صغر سنه كبيراً في فنه فذاً في دقة نظره وقوة ذهنه واستقامة سيرته وسرعة وصوله فيما حرره وقرره من مباحث العلمين العظيمين الكبيرين علم الفقه وأصوله فسئل الله تعالى أن يجعله ممن ينتفع بعلمه وثمرة لعين المؤمنين وأن يقر عينه بنجيب كما أقر عيني به وله الجهد والأثر أكبر مناه الأثرة والله تعالى هو حسبي ونعم الوكيل

الفقير إلى رحمة ربه الغني أبو القاسم الموسوي الخوئي

٧ شهر شوال المكرم

ولا بأس هنا بالإشارة إلى خمس قضايا ترتبط بأساتذته :

١. **القضيّة الأولى :** إنَّ أستاذه السيد الخوئي قدس سره هو الذي أمره بالحضور في أبحاث الخارج ، بعد أن اختبره في الكفاية ، فاجتاز الامتحان بجدارةٍ تامة ، على الرغم من صغر سنه .

٢ . **القضيّة الثانية :** في بداية حضوره أبحاث الخارج نصحه السيّد الخوئي قدس سره بنصيحة ثمينة ، فقال له : (عليك بالحضور في جميع الدروس ، والتعرّف عليها عن قرب ، ثمّ اختر منها ما تجد فيه ضالتك ، وإن لم يكن من الدروس المشهورة) .

٣ . **القضيّة الثالثة :** إنه دام ظله في بداية حضوره أبحاث الخارج حضر بحث المحقّق العراقي قدس سره ، فلمّا اطلّعَ على ذلك السيّد الخوئي قدس سره أمره بالانتقال من درسه إلى درس المحقّق الإصفهاني قدس سره ، وقال له : التزم بما قلته لك تعبداً ، فإنَّ درس المحقّق الإصفهاني لك أحسن .

وفي المقابل سمعتُ من السيد الأستاذ دام ظله: إنه سمع من المحقق الإصفهاني قدس سره قوله في حق المحقق الخوئي قدس سره : (لو قلتُ : " إنَّ السيّد الخوئي نسخة ثانية منّي " كان ذلك جسارةً منّي عليه، ولكنني أقول : إنَّه عيني) .

وللسيّد الأستاذ اعتقادٌ قويٌّ في أستاذه المحقق الإصفهاني، وقد حدثني عنه ذات مرّة فقال : (إنّه لم يكن عالماً فحسب، بل كان متعبداً ومراعياً لجميع الموازين الشريعة ، فكان صاحب شخصية عالية جداً) .

٤. **القضيـة الرابعـة :** سـألته عـن مقـدار حضـوره فـي درس المحقّق الشـيخ محمد علي الكاظمي قدس سره وطبيعة درسـه ، فأفاد بأنّه قد حضـر عنـده لأكثـر مـن سـنة ، وكان درسـه الشـريف أشـبه بالمباحثـة؛ لأنَّ الحاضريـن فيـه كانـوا مـن ذوي الـوزن العلمـي الثقيـل ، فهـو يقـول وهـم يقولـون ، وكان درسـه هـو الأوجـه عنوانـاً ، لكونـهِ مـن قدمـاء تلامـذة المحقـق النائينـي قدس سره، وأبـرز المستشـكلين فـي درسـه ، غيـر أنّ درس السـيد الخوئـي كان أفضـل منـه مطلبـاً وترتيباً.

٥ . **القضيّـة الخامسـة :** سـألتُ السـيد الأسـتاذ دام ظله عـن حضـوره لـدى السـيّد علـي القاضـي ؟ فقـال : لـم أحضـر ، ولكننـي رأيـتُ منـه أمـراً عجبـاً ، وهـو أننـي حيـن وصلـتُ إلـى النجـف الأشـرف قصـدتُ مـن فـوري إلـى الحـرم المطهّـر ، وحيـن دخلـتُ إلـى الصحـن الشـريف – وكنـتُ صبيّـاً صغيـراً – اتفـق أن التقيـتُ بالسـيّد القاضـي ، فنادانـي وأشـارَ علـيَّ بيـده ولـم أكـن أعرفـه ، فلمـا ذهبـتُ إليـه قـال لـي : أنـتَ ابـن السـيد محمـود الروحانـي ؟ - ولعلّـه ذكـر الاسـم أيضـاً ، والترديـد منـي أنـا الناقـل – فتعجبـتُ مـن سـؤاله للغايـة ؛ لأننـي للتـوِّ قـد وصلـتُ إلـى النجـف ، ولـم يعلـم بخبـري أحـد ، ولمّـا أجبتـه بالإيجاب عرَّفَ بنفسهِ وأبدى استعداده للمساعدة والمساندة.

إجازته بالاجتهاد :

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر شوال المكرّم سنة ستين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة (على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) أو بعدها بقليل[1]، أجازه أستاذه الشيخ محمد كاظم الشيرازي قدس سره بالاجتهاد ، وقد جاء في إجازته له :

(فلا يخفى : أنَّ قرة عيننا المعظم ، جناب العالم الفاضل، علم الأعلام ، وثقة الإسلام ، السيد محمد صادق ، نجل العلامة الأكبر ، حجّة الإسلام، الحاج ميرزا محمود (دامت تأييداتهما)، ممن تمسك بالعروة الوثقى ، واعتكف شطرًا وافيًا من عمره الشريف ، بباب مدينة حبل اللّه المتين ، أبي الأئمة الطاهرين "صلوات اللّه عليهم أجمعين" ، باذلاً جهده في تحصيل العلوم الدينية والمعارف الإلهية ، مجدًا في تنقيح مباني الأحكام الشرعية، بحضوره على الأساتذة العظام، والفقهاء الأعلام، مراعيًا في ذلك النهج القويم، والصراط المستقيم ، فبلغ بحمد اللّه تعالى في عنفوان شبابه " أقرّ اللّه عيوننا به، وسدده وأيده وحفظه " المرتبة العالية، وفاز بالدرجة السامية [..] اللّه تعالى بما منَّ عليه من رتبة الاجتهاد ، وملكة الاستنباط ، فهو ممن يشكر سعيه، ويقدر مقامه ، ويُعتمد عليه) .

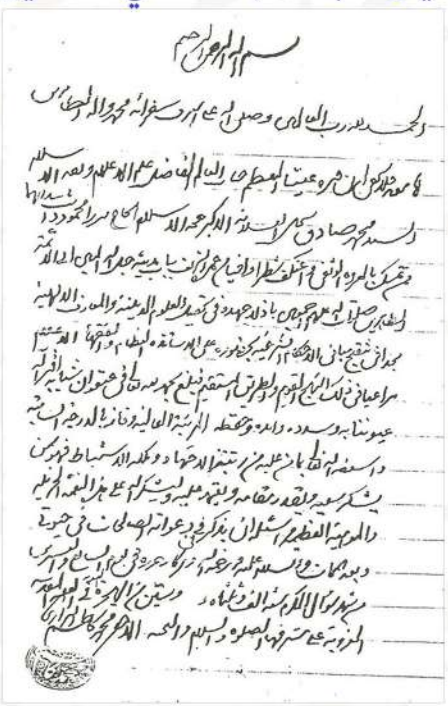

(١) الترديد مني ، لعدم وضوح التاريخ المدوّن في الوثيقة .

العلاقة بينه وبين أستاذه الخوئي قدس سره :

بينَ السيد الأستاذ (دام ظله الشريف) وأستاذه السيّد الخوئي قدس سره علاقةٌ وثيقةٌ للغاية ، بل تكاد أن تكون منقطعة النظير ، فإنّه قد التصق به منذ وروده إلى كربلاء المقدسة ، حيث كان السيد الخوئي حينها مقيماً للتدريس فيها ، فلازمه ملازمة الظلّ لذي الظل ، لمدة أربعة عشر سنة تقريباً ، وقد احتضنه السيد الخوئي كولدٍ من أولاده ، واعتنى به عناية فائقة ، توجيهاً وإرشاداً وتعليماً ، حتى نما واشتدّ عوده ، وصارَ ممّن يُشار إليه بالبنان .

وإنّك حين تقرأ كلمات السيد الخوئي قدس سره التي كان يخاطبه بها في رسائله إليه تستكشف عمق هذه العلاقة بشكلٍ واضح ، فهو تارة يخاطبه بعباراتٍ ومفرداتٍ مفعمة بالمحبة والمودة ، فيقول له : (وهل بغير أمثالكم كان ولا يزال قلبي فرحاً في هذه الدنيا ؟! عزّكم هو عزّي)[1] ، ويقول له أيضاً في رسالةٍ أخرى: (فجنابكم العالي نور عيني ، عزّكم هو عزّي)[2] .

وتارةً أخرى يصرِّح بافتخارهِ واعتزازهِ به ، فيقول له : (جنابكم العالي وأمثالكم مبعث افتخاري)[3].

---

(١) رسائل أربعين سنة : ٣٧ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٦٩ هـ ، وجديرٌ بالتنبّه والالتفات : أنَّ عمر السيد الأستاذ في هذه السنة أربعة وعشرون سنة تقريباً .
(٢) رسائل أربعين سنة : ٤٣ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٦ ربيع الثاني ١٣٧٠ هـ .
(٣) رسائل أربعين سنة : ٣٧ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٦٩ هـ .

وتارةً ثالثة يعتبره نتيجة عمره والامتداد لحياته ، فيقول : (بل إن شاء الله تعالى تكونون ذخيرتي للآخرة ونتيجة عمري ، إذ لم يبقَ لي من العمر أكثر مما مضى . قلبي سعيدٌ بأن أكون حيّاً بحياتكم ، وأنَّ جهودي وسهر الليالي لم يذهب هدراً، وأنَّ هناك أشخاصاً يقومون بنشر وترويج نتائج عمري من علم ودين) [1] .

ويقول له في رسالة أخرى : (إنَّ حياتي بعد موتي مستمرة بحياتكم، وثمرة عمري وجهودي جنابكم وأمثالكم)[2].

ويقول له في رسالة ثالثة:

(يملؤني الفرح والسرور فيما يتعلق بأعمالكم ، آمل أن توفق دائماً بفضل الله لخدمة الشرع المقدَّس . في الحقيقة ما يسعدني هو أنَّه إذا دنا الأجل، فإنَّ موتي لن يكون دون نتيجة، حيث تركتُ بحمد الله أثراً وذكرى في الحوزة العلميّة ، أمثال جنابكم الكريم)[3].

---

(١) رسائل أربعين سنة : ٣٧ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٦٩ هـ .
(٢) رسائل أربعين سنة : ٤٣ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٦ ربيع الثاني ١٣٧٠ هـ .
(٣) رسائل أربعين سنة : ٤٩ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٥ صفر الخير ١٣٧١ هـ .

ويقول له أيضاً في رسالةٍ مؤثرة : (منذ عدّة سنوات وفي حرم الكاظمين المطهّر طلبتُ من حضرة الحق جلَّ وعلا أن لا يجعل من نصيبي المرجعية بالدرجة التي لا أقدر على القيام بأعبائها – والتي تسبِّب لي الأذية من الجهات الشرعية – وفي حال كانت حياتي ملازمة لهذا الأمر ، أن يجعل الله نصيبي عالم الموت ، وأن أترك بعد مماتي آثاراً مكتوبة وأشخاصاً أكون قد ربيتهم حتى يكونوا من أسباب الرحمة لي .

استُجيب الجزء الثاني من دعائي ، وبحمد الله أنا مسرور لآثاري المكتوبة التي من جملتها البيان ، ولآثاري العلمية التي من جملتها جنابكم ، آمل أن يُستجاب الجزء الأول كذلك)[1].

وتارةً رابعة يصرّح له برغبتهِ في رجوعه إلى النجف الأشرف، ليكون من أركانها ، فيقول له : (لقد ظهرت – بحمد الله تعالى– أهمية قرار نقلكم البحثَ الحوزويَ من النجف إلى قم ، بما سيؤدي إلى تعرّف طلاب قم على مقامكم والاستفادة منكم، لكن كان أملنا أن تعودوا إلى النجف الأشرف لتكونوا بعد مدة ـ بفضل الله ـ من أركان الحوزة العلمية في النجف أو في قم)[2].

وقال له في رسالةٍ أخرى : (إنّكم – بحمد الله تعالى – حيثما تتواجدون ستكونون مورد إفادة ، لكنَّ التواجد في النجف يزيد من عطائكم ، وأعتقد أنَّ من الأفضل أن تتشرفوا بالقدوم إلى

---

(١) رسائل أربعين سنة : ١٣١ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ .
(٢) رسائل أربعين سنة : ٣٥ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ غرة جمادى الأولى ١٣٦٩ هـ .

النجف إن كان ذلك ممكناً)[1] .

وتارةً خامسة يبدي له سروره بما يبلغه من جهودِ العلمية، فيقول له : (سُررتُ كثيراً لأبحاثكم ، أرجو أن يعطيكم الحق سبحانه وتعالى عزّة الدنيا والآخرة ، وأنا مطمئن أنّه سيعطيكم ذلك)[2].

ويقول له في رسالة ثانية : (عندما وصلت رسالتكم المباركة من زنجان ، وأزالت القلق بحمد الله ، وقد سرّني جداً التكريم الذي حظيتم به ، وكذلك انشغالكم بالمباحثة ، وآمل أن توّفق في جميع الأوقات ، وتؤّيد بالتأييدات الإلهية ، وكلُّ ظني أنكم وبسبب حسن النية ونتيجة لأعمالكم ستفوزون بعزّة الدارين) [3].

ويقول له في رسالةٍ ثالثة : (وصلتني رسالتكم الكريمة المؤرخة بتاريخ ١٢ من الشهر الماضي ، وسررت كثيراً لهدوء بالكم الشريف ، ولقراركم البدء ببحث الخارج ، أرجو لك التوفيق والتأييد دائماً) [4].

---

(١) رسائل أربعين سنة : ٣٨ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٦٩ هـ .
(٢) رسائل أربعين سنة : ٧٤ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٣٧٣ هـ .
(٣) رسائل أربعين سنة : ٩٠ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٧ ذو الحجة ١٣٧٣ هـ .
(٤) رسائل أربعين سنة : ٣٧ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٦٩ هـ .

(الأخوان العلمان السيدان الروحانيّان)

وفي المقابل كانت للسيد الأستاذ دام ظله علاقةٌ عميقةٌ جداً بأستاذه هذا ، حتى أنّه لمّا استقرَّ في النجف الأشرف عرَّ عليه عدم وجود السيّد الخوئي فيها ، فذهب بمعيّة أخيه الأكبر المحقِّق الروحاني قدس سره والشيخ محمد القزويني والآغا النجفي وآخرين ، إلى مرجع الشيعة آنذاك : السيد أبو الحسن الإصفهاني قدس سره ، وطلبوا منه أن يحكم برجوع السيّد الخوئي إلى النجف الأشرف ؛ لأنَّ السيد حسين القمي قدس سره قد حكم بلزوم بقاء السيد الخوئي في كربلاء ، فكان رجوعه إلى النجف منوطاً بنقض السيد الإصفهاني لحكم السيّد القمي بحكمٍ آخر .

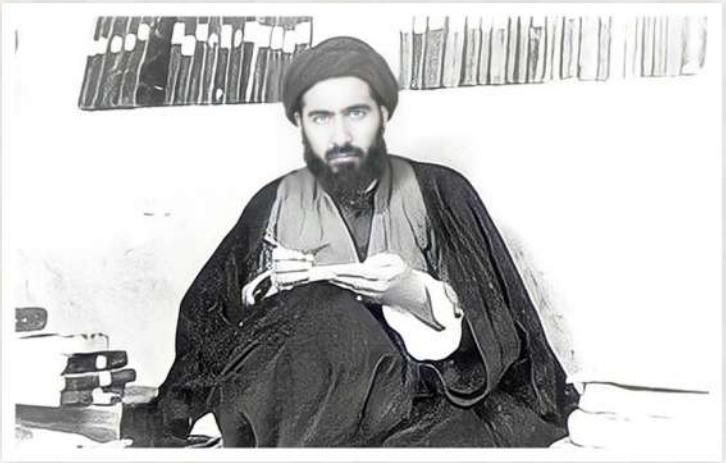

(سيّد الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي)

ولشدّة علاقة السيّد الأستاذ دام ظله بأستاذه الخوئي قدس سره ، ومعرفته التامة به علماً وعملاً ، فقد كان له اعتقادٌ قليل النظير به ، كما تكشف عن ذلك كلماته الكثيرة ، وسوف أكتفي بذكر بعضها :

١. السيد الخوئي أعلم من الشيخ الأنصاري بلا ترديد[١] .

٢. السيد الحكيم قدس سره من العلماء المحقّقين والفقهاء قليلي النظير ، وكتبه الفقهية مرجع المجتهدين في مقام الاستنباط ، ومع ذلك [فإنَّ] السيد الخوئي أعلم منه ومن غيره من الأكابر .

وإن لم أقل : إنه عديم النظير من أول زمان الغيبة إلى هذا الزمان ، أقول : إنه قليل النظير ، [ومثله] لا يتعدّون أصابع اليد الواحدة ، ولنعم ما أفاده بعض العلماء [حيث قال] : إن السيد الخوئي أستاذي ، وأستاذ كلّ من يحفظ عنه العلم .

---

(١) وقد يتصور بعض المشتغلين (زادهم الله توفيقاً) أنَّ شهادة السيّد الأستاذ (دامت بركات أيّامه) بأعلمية أستاذه المحقق الخوئي قدس سره على جميع علماء الإسلام في عصر الغيبة الكبرى شهادةٌ غير دقيقة ، لعدم إمكان الإحاطة بجميعهم في مختلف المعارف والفنون .

ولكنني أعتقد أنَّ الشهادة المذكورة – وافقناه أو خالفناه فيها – غير ممتنعة ، إذ أنَّ الأعلمية التي يشهد بها السيد الأستاذ لأستاذه وأستاذ الكل ليست إلا الأقدرية على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها المقررة ، بأن يكون أكثر إحاطة بالمدارك ، وأدق من غيره في تطبيقها ، وبحسب عبارة السيد الأستاذ دام ظله فإنَّ الأعلم هو (من كان أعلم بردِّ الفروع إلى الأصول ، ومَن كان أحسن استنباطاً؛ لكونه أعرف بمدارك الحكم وكيفية تطبيقه على مصاديقه) . فقه الاجتهاد والتقليد : ٨٨ .

ومن الواضح أنَّ الشهادة بالأعلمية – بهذا المعنى – لا تمتنع على مَن خَبَرَ آراء أعلام فقهاء الطائفة من أوّل زمان الغيبة الكبرى حتى يوم الناس هذا ، كالسيد الأستاذ (دامت أيّامه) ، فإنه قد أتعب نفسه الشريفة من خلال موسوعته الفقهية (فقه الصادق) في تتبع آراء الفقهاء – من المتقدمين والمتأخرين – وتمحيصها ، وهذا ما يجعل شهادته ذات منشأ علمي صحيح ، فلا يبقى وجهٌ لاستنكارها، كما بلغنا عن بعض معاصرينا .

٣. مختصرًا أقول : إنه أعلم الفقهاء من أول عصر الغيبة إلى هذا الزمان ، ولا أقل من أنني لا أرى شخصًا أعلم منه ، ومع ذلك فهو من مصاديق الكبرى الكلية المذكورة في الرواية الشريفة: (من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه ، مطيعًا لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه) .

٤. السيد الخوئي بنظري أفقه فقهاء الشيعة ، من أول زمان الغيبة إلى الآن ، وكتبه الفقهية التي كتبها تلامذته تقريرًا لأبحاثه الفقهية مستند المراجع في الحوزات العلمية في التدريس ، والمراجع الكبار في قم والنجف وسائر الحوزات تلامذته .

٥. باعتقادي أنَّ السيد الخوئي رحمه الله أعلم علماء الاسلام من أول زمان الغيبة إلى يومنا هذا ، والمراجع الموجودون لا أظن أن يكون فيهم من يدعي أعلميته من السيد الخوئي .

٦. وقال دام ظله أيضًا جوابًا عن سؤالٍ حول أعلمية المحقق الخوئي قدس سره على غيره من المراجع المعاصرين: (أعلميته من الجميع من البديهيات ، التي لا شك لأحدٍ فيها ، ممن يحفظ عنه العلم)[1].

---

(١) وثقتُ جميع هذه الكلمات في كتابي (دوحة من جنة الغري) الصفحة : ٣٣٥ فما بعدها .
وهنا إشكاليةٌ كان البعضُ يتداولها ، وقد رأيتُ من المناسب أن أتوقف عندها في المقام ، وهي : إنَّ السيّد الروحاني دام ظله إذا كان يعتقد كلَّ هذا الاعتقاد بأعلميّة أستاذه السيّد الخوئي قدس سره ، فلماذا تصدّى للمرجعية في حياته ؟

ويمكن أن يُجاب عن هذه الإشكاليّة ببيان عدّة مبررات ، نكتفي منها ببيان مبرِّرين :
١ – المبرِّر الأوّل : إنَّ المكلّفين كما يحتاجون إلى مرجعٍ ديني يرجعون إليه في المسائل الفتوائية ، كذلك يحتاجون إلى مرجعٍ آخر يرجعون إليه في المسائل الاحتياطية عند الأوّل ، فهب أنهم كانوا يرجعون للسيّد الخوئي في فتاواه ، إلا أنّهم في احتياطاته اللزومية كانوا يبحثون عن مرجعٍ آخر يفتي لهم بالترخيص، فكان تصدّيه دام ظله لملء هذا الفراغ ، وإشباع هذه الحاجة ، وما أكثر المسائل التي احتاط فيها سيدنا الخوئي وأفتى فيها سيدنا الأستاذ ، وهي معروفة عند أهلها ، وسيتضح التقعيد لهذا المبرِّر من خلال المبرِّر التالي .

٢ – المبرِّر الثاني : إنَّ تشخيص الأعلم الذي يجب الرجوع له في التقليد إنما هو وظيفة المكلَّف بالاستعانة بأهل الخبرة ، وبالتالي فلو كان هنالك مجتهدان ، وكان الأوّل منهما يعتقد بأعلمية الثاني ، إلا أنَّ جمعاً من المكلّفين كانوا يعتقدون بأعلمية الثاني على الأوّل ، فإنه لا مانع من إفتائه لهم .
وذلك لأنه إذا كان له رأي عن حجة شرعيّة ، إلا أنه كان فاقداً لشرط الأعلمية ، فله أن يخبر عن رأيه، ولا محذور فيه لا من جهة الإخبار عن الرأي ولا من جهة الإخبار عن الواقع .

وربما يُستشكل في جوازه فيما إذا علم برجوع الغير إليه من جهة أنّه إغراء بالجهل ، ولكنّه غير تام ؛ إذ الإغراء إما هو بالنسبة للواقع وإما بالنسبة للظاهر ، وكلاهما غير متحقق ، أما بالنسبة إلى الواقع : فلقيام الحجة عند الفقيه على الحكم الواقعي بحسب الفرض ، وأما بالنسبة إلى الظاهر : فلقيام الحجة عند العامي على استجماع المفتي للشرائط بحسب الفرض أيضاً .

ومن هنا قال سيدنا الأستاذ دام ظله – في (فقه الاجتهاد والتقليد : ٢٦١) – : (إنَّ بيان الحكم الذي استنبطه غير الجامع للشرائط من الأدلة لا يساوق الإغواء والإضلال ولا يلازمهما) .

ولو استُشكل في الجواز بدعوى أنَّ أدلة الشروط – كالأعلمية – تقتضي حرمة الإفتاء على غير الأعلم، أمكن أن يُجاب عن ذلك بما أفاده السيّد الأستاذ دام ظله بقوله في المصدر المتقدم : (بأنَّ غاية ما تدلُّ عليه أدلة الشروط هو اعتبار تلك الشرائط في حجيّة فتوى المجتهد ، لا في جواز إفتائه) .

ومَن أراد مزيداً من البحث حول هذه المسألة فإنها محرّرة في كلمات الأعلام ، وقد تعرّض لها سيدنا الخوئي (أعلى الله درجته) في (فقه الشيعة) ١ / ٢٣١ ، و (التنقيح في شرح العروة الوثقى) ١ / ٣٤٩ ، وسيدنا الأستاذ دام ظله في المصدر المذكور آنفاً ، وقد ختم المسألة بقوله : (فالأظهر : أنَّ حرمة الإفتاء مقصورة على غير المجتهد .. وأما فاقد سائر الشرائط فلا يحرم إفتاؤه) .

كانت هذه باقة من كلمات السيد الأستاذ (دامت فوائده) في حق أستاذه الخوئي قدس سره ، وقد أحببتُ أن أسجلها هنا ، لما تكشف عنه من الكمالات العلمية والمعنوية للمحقق الخوئي قدس سره .

التصدّي للتدريس :

وبعدَ أن قضى السيّد الأستاذ دام ظله وطره من العلم ، رجع إلى مسقط رأسه عالمًا فقيهًا مجتهدًا – وهو في النصف الأوّل من عقده الثالث[1] – وكان يحمل مشروعاً هادفاً ، وهو نقل فكر مدرسة النجف الأشرف إلى مدرسة قم المقدسة ، كما تُشعر بذلك بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين السيد الخوئي (طاب مثواه)[2] ، فحضرَ قرابةَ سنةٍ واحدة بحثَ الفقيه الكبير ، السيّد البروجردي (أعلى الله درجته)[3]، وشرعَ إلى جانب ذلك

---

(١)سمعتُ منه (أعلى الله في الخلد درجاته) إنّه حين أزمع على مغادرة النجف الأشرف بعثَ إليه الفقيهُ الجليل ، والمرجع الكبير، السيد محمود الشاهرودي (قُدّس سرُه الشريف) يطلبه عنده ، وحين مثل بين يديه قال له : " إنّك تسكن بجانبنا ولم نعرفك ولم تعرفنا ، وقد بلغني نبأ مغادرتك للنجف الأشرف ، فأحببتُ التعرف عليك من قرب " ، ثمّ طرح عليه ثلاثاً من المسائل ، وطلب منه أن يوافيه بتحقيقها ، فخرج السيد الأستاذ (طيّب الله ثراه) إلى المدرسة التي كان يسكنها - وكانت بالقرب من منزل السيد الشاهرودي - فبحث المسائل الثلاث ، وانتهى فيها إلى نتائج مغايرة لما عليه مشهور الفقهاء، وحين عاد للسيد الشاهرودي ، وعرض عليه تحقيقه للمسائل الثلاث ، أعجب به السيد الشاهرودي أيّما إعجاب ، وقال له : " الآن ثبت لدي ما يتردد على الألسنة من وفور فضلك وعلمك " ، ولشدة انبهاره به صار يشيد به بين جلسائه وتلامذته .

(٢) جاء في إحداها : (لقد ظهرت – بحمد الله تعالى – أهمية قرار نقلكم البحثَ الحوزويَ من النجف إلى قم) .

(٣) وهنا حادثةٌ جديرةٌ بالتوثيق لما فيها من درسٍ تربوي نافع لطلبة العلوم الدينية ولغيرهم ، وقد سمعتها من السيّد الأستاذ (دام ظله الشريف) في مجلس الدرس ، ناصحاً بها بعض الحاضرين الذين كانوا يشكلون من غير رويّة ولا تأمّل ، في مقام حثّهم على ضرورة إعمال الفكر في كلمات العلماء والبحث عن وجهها اللائق بحال قائلها ، قبل ارتجال الإشكال ارتجالاً .
والحادثة المذكورة هي : أنَّ السيّد البروجردي (أعلى الله درجته) في أبحاثِهِ الشريفة قد انتهى إلى القول بالضمان في مورد اليد المشكوكة ، فيما لو دار أمرها بين أن تكون يداً عادية أو أمينة ؛ للاشتباه من جهة الأمور الخارجية ، وقد بدا منه الاستناد إلى الحديث المعروف : (على اليد ما أخذت حتى تؤديه) .
يقول السيّد الأستاذ : فتعجبتُ من ذلك ، وكتبتُ في ورقةٍ صغيرة : (إنَّ التمسّك بالحديث المذكور تمسك بالعام في الشبهة المصداقيّة) ، وبعثتُ بها عن طريق الزملاء الذين كانوا يصلون بيني وبين السيّد البروجردي في مجلس الدرس ، فلمّا انتهت القصاصة إليه وهو على منبر الدرس قرأها ، ثمَّ قال: (إنّي دَرَستُ ودَرّستُ الأصول مراراً ، أفهل يُتصور في مثلي الغفلة عن مثل هذا الإشكال ؟!) ، ثمَّ شرَعَ في تفصيل الكلام حول مسألة (التمسّك بالعام في الشبهة المصداقية) ، وأوضحَ أنَّ هنالك بعض الموارد في الفقه – ومنها مورد اليد المشكوكة – قد يُتصوّر لأوّل وهلة أنَّ الفقيه قد تمسّك فيها بالعام ، مع أنَّ الشبهة فيها مصداقية ، والحال أنَّ حكمه إنما هو وليد الاستناد إلى الأدلة الخاصة .
أقول : وهناك فروع عديدة قد يُتوهم منها تمسك السيّد اليزدي (أعلى الله مقامه الشريف) بالعام في الشبهة المصداقية ، وقد استعرضها السيّد الأستاذ (دامت بركاته) في بحث (التمسك بالعام في الشبهة المصداقية) من كتابه الشريف (زبدة الأصول): ٢ / ٣١٧ ، فلتلاحظ .

في البحث والتدريس ، حتى عُدَّ على صغر سنه من مشاهير المدرسين ، بحيث أنَّ الشيخ الرازي رحمه الله صاحب كتاب (آثار الحجة) الذي يؤرّخ لحوزة قم المقدسة ، عندما تعرضَ لذكر معاريف مدرسي البحث الخارج – فقهًا وأصولاً – فيها في زمن السيد البروجردي قدس سره – وبالتحديد في سنة ١٣٧٤ هـ التي هي سنة الفراغ من تأليف الكتاب – ذكرهُ دام ظله كواحدٍ منهم[١] ، وأشارَ إلى أنَّ عدد تلامذتهم يتراوح بين العشرين والمائتين وخمسين[٢]، كما صرَّح بأنَّ السيّد الروحاني رغم كونه في عنفوان الشباب إلا أنّه حائز على مقام الاجتهاد ، ويعدُّ من أفاضل المدرسيّن[٣].

(١) والأساتذة الذين أشارَ لهم المؤرخ الرازي (رحمه الله) في (آثار الحجة) : ١٧٢/٢ ، هم الآيات : السيد الخميني ، والسيد المرعشي ، والسيد شريعة مداري ، والسيد الگلبيگاني ، والسيد الداماد ، والعلامة الطباطبائي ، والشيخ الأراكي ، والشيخ عباس علي الشاهرودي ، والشيخ عبد النبي العراقي ، وهؤلاء كانوا - آنذاك- أصحاب المنابر المشهورة في الأبحاث العالية في الفقه والأصول ، وعلى رأسهم كان البحثُ العالي في الفقه لسيد الطائفة : السيد البروجردي (قُدّس سرّه) ، وقد ذُكرَ اسم سيدنا الأستاذ (دامَ ظله الشريف) إلى جانب أسماء هؤلاء العمالقة ، رغمَ كونه - بحسب السن- في طبقة تلامذتهم .

(٢) آثار الحجة : ٢ / ١٧٢ .

(٣) آثار الحجة : ٢ / ٩٥ .

وتحدَّثَ عن مجلس درسه تلميذه الشيخ الطسوجي في بداية تقريره لأبحاثه الموسومة بـ (دراسات في فروع العلم الإجمالي) فقال: (اجتمع فريق من أرباب العلم والفضل لدى أستاذ الفقهاء والمجتهدين ، آية الله العظمى في العالمين، مولانا السيد محمد صادق الحسيني الروحاني " دامت أيام إفاضاته "، ورغبوا إليه رغبة ملحّة في تدريسها ، فنزل دام ظله عند رغبتهم)[1]، ويوثِّق هذا الكلام لمجلس الدرس سنة ١٣٧٦هـ ، ممّا يعني أنَّ عمر الأستاذ حينها كان إحدى وثلاثين سنة .

كما تحدَّثَ أيضاً عن مجلس درسه تلميذه الآخر السيّد هادي الروحاني في بداية تقريراته لأبحاث الاجتهاد والتقليد ، فقال: (اجتمعتُ مع فريق من أرباب العلم والفضل لدى الأستاذ المحقّق الفقيه ، السيّد محمد صادق الروحاني دام ظله ، ورغبنا إليه في تدريسها في ليالي شهر رمضان وسائر أيام العطلة ، فنزل "شكر الله مساعيه" عند رغبتنا) [2]، وكلامه هذا يوثِّق لمجلس الدرس سنة١٣٧٧ هـ، ممّا يعني أنَّ الأستاذ حينها كان في الثانية والثلاثين من عمره الشريف .

وهذا يؤكِّد ما نُقِلَ من أنَّ رجوعه إلى قم المقدسة ، ونشره لفكر مدرسة النجف في أوساطها ، قد أثَّرَ في لفت أنظار العديد من الطلّاب آنذاك إلى أهميّة الهجرة إليها ، والتزوّد من عطاء أعاظم أساتذتها وعلمائها ، وببركته هاجرَ عديدون إليها ، ونهلوا من عذب مناهلها ، وقد أصبح بعضهم من مراجع الشيعة العظام.

---

(١) فروع العلم الإجمالي : ٦ .
(٢) فقه الاجتهاد والتقليد : ١١ .

وقد بقي نجمه لامعاً وصيتُ درسهِ ذائعاً فيما تعقّب هذه المرحلة من السنين ، حتى أنَّ سيدنا الأستاذ المقدّس ، العلامة الحجّة ، السيّد محمد رضا الأعرجي (طيّب اللّه ثراه) قد تحدَّث عنه في كتابهِ الشريف (بقايا الأطياب في تتمة الكنى والألقاب) المؤرّخ بسنة ١٣٨٦ هـ فقال : (العالم الفاضل ، والمدرّس الكامل، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني ، ساكن قم المشرفة ، وأحد مدرّسيها الأجلّاء ، وعلمائها النبلاء ، وأفاضلها المُوَجَّهِين في الحوزة العلمية)[١]

وممّا يجدر ذكره أنه دام ظله قد أنهى خمس دورات أصولية ، وبدأ في السادسة – التي تشرفتُ بحضورها عنده – إلا أنه للأسف لم يتمها ، كما درّس من الفقه أبوابًا كثيرة جدًا ، وخلافاً للمألوف بين المراجع والفقهاء فإنه قد انتقل في أخريات سنوات تدريسه من تدريس الفقه إلى تدريس الأصول، وبدأ في تدريس دورة جديدة، ولكنه قد ثقلت عليه الأمراض فحالت دون إتمامها أيضاً ، وحرمت الحوزة الشريفة من نمير علمه .

مزايا درسه الشريف :

ويتميز السيد الأستاذ دام ظله في أبحاثه بدقة النظر ، وكثرة التتبع، والمثابرة في الاشتغال ، فهو السبّاق دائمًا لأقرانه في الشروع بالبحث، والمتأخر عنهم في تعطيله، بحيث قد تزيد مدة بحثه

(١) بقايا الأطياب – النسخة المخطوطة .

في بعض الأحيان على مدة بحث غيره بما يقارب الشهرين الدراسيين ، وهذه من عجائبه ، ففي الوقت الذي تعترينا – نحن طلابه الشباب – حالةٌ من الفتور والدعة ، نجد في مثابرته وعلو همته – رغمَ شيخوخته – عاملاً محفزًا لهممنا الراكدة ، ومحركًا لطاقاتنا الخاملة .

ومنهجه في بحثه الشريف منهجٌ علميٌ تربوي ، ومن ملامحِ اهتمامه الشديد بإثارة القواعد والكبريات الأصولية في فقهه ، بالمستوى الذي قد يحاول فيهِ في بعض الأحيان تصوير ارتباط المسألة بعدة كبريات أصولية – قد تصل إلى الأربع– ثم يقوم ببيان النكات الخفية التي تَحُول دون بناء المسألة على كلِّ واحدةٍ من تلك الكبريات ، إلى أن يضع بيد الطالب على واحدة منها ، وبذلك يكون قد جعل طلابه يميزون بين مفاتيح التطبيق ، ويعرفون مفتاح كل فرع من الفروع الفقهية .

تلامذته :

تخرَّجَ من درسهِ الشريف مجموعة من الأعلام ، وقد ألمحَ دام ظله لهم في تقريظه لتقرير (دراسات في فروع العلم الإجمالي)، فقال : (وإني لأحمده سبحانه أنَّ أتعابي لم تذهب سدى ، بل أثمرت كثيراً من الأفاضل الكرام والأساتذة والمراجع العظام) ، وقبل أن أذكرهم أحبُّ أن أنوِّه على أمرٍ مهم ، وهو : أنَّ ممارسة السيد الأستاذ للتدريس قد مرَّت بفترتين زمنيتين :

الأولى بدأت منذ عودتهِ إلى قم المقدّسة سنة ١٣٦٨ هـ واستمرت حتى سنة١٤٠٥ هـ تقريباً ، باستثناء ما تخللها من سنوات التبعيد، وهي ثلاث سنوات.

والثانية بدأت منذ سنة ١٤١٩ هـ واستمرت حتى أواخر سنة ١٤٣٥هـ، وبما أنني لم أدرك المرحلة الأولى ، وهي المرحلة الذهبيّة في مسيرة تدريسه الطويلة ، لذا سأقتصر على ذكر مَن توثقتُ من حضوره لديه دام ظله، مع الاعتراف بأنني لم أهتم بمعرفتهم اهتماماً جادّاً إلا في الفترة الأخيرة ، ولات حين مناص ؛ إذ قد تُوفي أغلبهم ، ولذا لم أقف إلا على أقل القليل منهم ، واللافت في الأمر أنَّ السيّد الأستاذ دام ظله لم يكن يقبل التصريح بأسمائهم ، رغمَ سؤالي له غير مرّة، وكان يقول : " إن هم صرَّحوا بذلك فهو ، وإلا فلا داعي لذلك " [1] ، وربمّا قال : " فلا داعيَ لإحراجهم " .

(١) ومن المؤسف له : أنَّ بعض مَن حضروا لدى الأستاذ دام ظله قد تنكروا له ، بل رأيتُ بعضهم قد لقَّب الأستاذ بألقابٍ لا يُلقَّب بها المجتهد العادي فضلاً عن المرجع الديني ، ولعلّ السيّد الأستاذ دام ظله قد أدرك ذلك من مثل هؤلاء فلم يحبِّذ التصريح بأسمائهم ، أو لعلّ الجنبة الأخلاقية هي التي سمت به عن مثل هذا التصريح، وليس هذا بغريبٍ عليه كما سيتضح .

وسوف أذكر ها هنا بعض مَن توثقتُ من حضورهِم في بحثهِ في المرحلة الأولى[1]، وإليكَ أسماءهم :

١. الشيخ مصطفى الدوستي الزنجاني ، وهو (دام تأييده) من المتصدين للمرجعية في قم المقدسة ، وله رسالة عملية مطبوعة (توضيح المسائل) وغيرها .

٢. الشيخ عباس الطسوجي ، وكان (طابَ ثراه) من العلماء المتصدين للمرجعية ، وله رسالة عملية مطبوعة بعنوان (توضيح المسائل) .

٣. السيد محمد حسن الترحيني العاملي (طابَ ثراه) ، صاحب الشرح المشهور على شرح اللمعة الدمشقية المعروف بـ (الزبدة الفقهية) وغيره من الآثار ، ولا يخفى على مَن طالع هذا الشرح الموفّق أنه في الكثير من مواضعه أشبهُ بالتلخيص لمطالب كتاب أستاذه (فقه الصادق) .

٤. السيد هادي الروحاني ، مقرِّر (فقه الاجتهاد والتقليد) من أبحاث أستاذه ، وتقريره مطبوع ، وسيأتي الحديث عنه وعن كتابه في آخر الكتاب ، كما أنَّ له تقريرات أخرى لم تُطبع للأسف.

---

(١) وأما مَن اختُلِف في حضورهم – ولم أقطع بحضورهم أو عدمه – فجماعة ، منهم :
١. الشيخ علي أكبر فيض المشكيني ، مؤلف كتابي (اصطلاحات الأصول) و (اصطلاحات الفقه) وغيرهما من المؤلفات المعروفة .
٢. السيد يوسف المدني التبريزي ، وكان من المتصدين للمرجعية ، وله شرحٌ للرسائل بعنوان (درر الفوائد في شرح الفرائد) وغيره من المؤلفات .
٣. السيّد راغب آل كمونة ، وكان من المتصدين للمرجعية ، وله مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول والحكمة والكلام .
٤. السيّد جعفر مرتضى العاملي ، وهو أعرف من أن يُعرّف .

٥. الشيخ غلام حسين الطسوجي ، مقرِّر أبحاث (فروع العلم الإجمالي) من أبحاث أستاذه دام ظله ، وتقريره مطبوع ، وقد أشارَ الأستاذ – في فقه الصادق – إلى التقرير والمقرّر ، فقال عنه : (العالم الفاضل التقي ، ركن الإسلام ، ومفخرة هذه الأيام ، الحاج الشيخ غلام حسين الطسوجي)[١].

كما قال عنه في تقريظه للكتاب : (قرّة عيني ، وولدي ، صاحب الذوق السليم والقريحة المستقيمة ، العالم الورع التقي ، حجّة الإسلام والمسلمين) .

٦. الشيخ محمد علي بن عبد الصمد الفاضل ، مؤلف كتاب (الجامع في أصول الفقه) وكتاب (تحقيق الفقه – تقرير أبحاث آية الفقاهة والقداسة ، الشيخ الميرزا كاظم التبريزي قدس سره) .

وقد تحدث عن أستاذه في بداية كتابه (الجامع) فقال : (العلامة المحقق ، صاحب التآليف الممتعة ، آية الله السيّد صادق الروحاني دام ظله ، وقد حضرتُ أبحاثه الثمينة خارج كتاب الحدود في الفقه، وقسطاً وافراً من أصول الفقه)[٢].

٧. الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ، وقد حضر لدى الأستاذ دام ظله –كما ذكر في ترجمته – فقهاً وأصولاً ، لمدّة ست سنوات، وذكرَ فيها أنَّ تدريس السيّد للفقه والأصول معاً في ذلك الوقت كان من امتيازاته ، وله تُنسب ترجمة رسالة (الجبر والاختيار) للسيد الأستاذ دام ظله من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية ، وقد ذكر أنّها كانت نتيجة أحد البحوث التعطيلية ، حيث بحث الأستاذ فيها حول مسألة الطلب والإرادة وضمنها مسألة الجبر والاختيار ،

(١) فقه الصادق : ٥ / ٢٩٧ .
(٢) الجامع في أصول الفقه : ١ / ٧ .

فقرّرها السيّد هادي الروحاني (طاب ثراه) – متقدّم الذكر – باللغة الفارسية ، وترجمها العلامة الجليل الشيخ سلمان الخاقاني (طاب ثراه) إلى اللغة العربية ، ثمَّ قام الشيخ اليوسفي بترجمتها للغة الفارسية مرّة أخرى على ضوء ترجمة العلامة الخاقاني (طاب ثراه) .

٨. المرحوم الشيخ الميرزا خليل قبله اي الخوئي ، وهو أيضاً من تلامذة السيدين العظيمين : الحجة الكوهكمري والحسين الطباطبائي البروجردي قدس سرهما ، وقد أجازه سيّدنا الأستاذ بالاجتهاد سنة ١٣٨٦ هـ ، وكتبَ في إجازته له : (وحضر برهة من الزمن أبحاثي في الفقه والأصول حضور تفهم وتحقيق ، كما إنه حضر أبحاث سائر الأساطين والفحول ، حتى بلغ – بحمد الله ومنّه – مرتبة الاجتهاد والاستنباط) ، وكان هذا الشيخ الجليل من أبرز أساتذة طهران في العصر الأخير ، وله مؤلفات عديدة.

٩. السيّد حميد الفتاحي الخوئي ، وله شروح عديدة مطبوعة باللغة الفارسية لكلٍّ من (الزيارة الجامعة) و (الصحيفة السجادية) و (زيارة عاشوراء) و (المناجاة الخمسة عشر) و (الخطبة الفدكية) وغيرها من المؤلفات الكثيرة .

١٠. الشيخ زين العابدين الأحمدي الزنجاني ، من معاريف علماء زنجان ، وله مؤلفات عدّة ، منها : البيان في شرح تحرير الوسيلة ، وقد حضر عنده دام ظله خارج الفقه على العروة الوثقى، كما هو مذكور في ترجمته .

١١. المرحوم الشيخ جعفر الأميني النطنزي النجفي ، وهو أيضاً

من تلامذة السيد الخوئي والسيد محمد الروحاني قدس سرهما ، وله مؤلفات عدة ، وكلها مخطوطة ، ومن أهمها ردُّه المبسوط على ما طرحه بعض المتأخرين حول قضية (فدك).

١٢. الشيخ محمد رضا باني الكاشاني ، صاحب كتاب (الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) ومؤلفات أخرى .

١٣. الشيخ حسن البصيري الخوئي ، من معاريف علماء خوي ، تتلمذ على يد السيد الروحاني دام ظله في خارج الفقه ، وله مؤلفات عديدة باللغة الفارسية، كما كانت له – على مدى سبعين عاماً – يد طولى في التبليغ للمذهب الشريف .

١٤. السيّد حسن نجل الفقيه الجليل السيّد عباس الملكي الطسوجي ، وهو أحد فضلاء المدرسين في الحوزة العلمية بقم المشرفة ، وأحد أركان جلسة استفتاء الشيخ الميرزا جواد التبريزي قدس سره.

١٥ - السيد محمد هادي نجل آية الله السيد محمد هاشم الغضنفري الخوانساري (أيده الله) ، وهو اليوم من أساتذة بحوث الخارج في حوزة قم المقدسة ، وله مؤلفات كثيرة مطبوعة تنيف على السبعين ، منها :(مصادر الاجتهاد ومباني الاستنباط عند الإمامية) و (الهادي والهداية في الرجال والدراية) و (هداية المقلدين) حاشية فتوائية على العروة الوثقى.

١٦. السيد هادي الخسروشاهي ، كاتبٌ وباحثٌ معروف ، ومن كتبه: (عبد الله بن سبأ بين الواقع والخيال) وغيره ، وهو صهر السيّد على كريمته.

١٧. السيد محمد حسن آل غفور الجزائري الشوشتري ، وقد كان من مبرّزي أساتذة حوزة خوزستان ، وأئمة الجمعة فيها .

١٨. السيد نور الدين شريعتمدار الشوشتري الجزائري، وهو أحد أساتذة البحث الخارج، وله عدة من المؤلفات المطبوعة،ومن أشهرها : (النور المبين في شرح التحرير ومنهاج الصالحين).

١٩. الشيخ حسين الجباري الزنجاني ، وكان (طاب ثراه) من أساتذة السطح العالي في حوزة قم المشرفة ، وقد تولى القضاء لمدّة قليلة في مدينة (آبهر) ، كما كان له اهتمام بالغ بأمر تبليغ الدين وتأثير معنوي ملموس على مستوى زنجان ونواحيها، وكان إلى جانب ذلك من أهل والبكاء والعبادات الطويلة ، والمداومين على زيارة عاشوراء وصلاة جعفر الطيّار عليه السلام، والمبادرين إلى قضاء حوائج المؤمنين ، مضافاً إلى ما كان يتمتع به من الأخلاق العالية والتديّن الرفيع ، وقد توفي سنة ١٤٣٠ هـ عن عمرٍ ناهز الثمانين في مدينة قم المقدسة ، ودُفن في مقبرة گلزار شهداء .

٢٠. السيّد طيّب الموسوي المير سالاري ، وهو اليوم (دام تأييده) من أبرز علماء الأهواز ، وأحد مَن يُضرب بهم المثل في الورع والزهد والتقوى ، حتى أنه قد أصبح مقصداً لأهالي تستر ومعتمداً لهم في الشؤون الشرعية ، وله مدرسة علمية تُعرف باسم (مدرسة الإمام الصادق عليه السلام) .

٢١. السيد يحيى باغميشه اي التبريزي الموسوي ، وكان من المهتمين بتبليغ معارف أجداده المعصومين عليهم السلام وترويجها، كما كان شديد الغيرة على الدين ، ومتصدياً لردّ شبهات المنحرفين والمشكّكين ، وهو الذي قام بتنظيم الاستقبال التاريخي الكبير لأستاذه الروحاني حين وفد إلى تبريز، وكان استقبالاً منقطع النظير ، حيث توافد فيه علماء تبريز وآذربيجان لاستقبال السيد الروحاني ولقائه والحفاوة به ، وقد كان ذلك سنة ١٣٧٩ أو ١٣٨٠ هـ .

وتوفي (طيّب اللّه ثراه) عن عمرٍ ناهزَ الخامسة والستين ، في اليوم ٢٣ من شهر شعبان سنة ١٤٠٦ هـ ، ودُفن في مقبرة باغ بهشت بقم المقدسة .

٢٢. المرحوم الشيخ كريم الأميني الزنجاني ، وهو من تلامذة أعلام أساتذة الحوزة القمية ، أمثال السيد صدر الدين الصدر ،والسيد محمد الحجة الكوهكمري ، والسيد حسين البروجردي (قُدّست أسرارهم) ، وكان من الملازمين للسيد الأستاذ دام ظله زمناً طويلاً ، ومن المعتمدين عنده .

٢٣. الشيخ غلام علي زند القزويني ، أحد أساتذة البحث الخارج في قم المشرفة، وهو شيخ جليل محترم ، وقد واصل حضوره لدى الأستاذ دام ظله في المرحلة الثانية ، وكان محلّ إجلال الأستاذ وتقديره.

٢٤. المرحوم السيد محمد تقي العلوي الغروي البختياري ، حضر لدى أعاظم أساتذة حوزة النجف الأشرف ، كالسيّد الحكيم ، والسيد الخوئي ، والسيّد المستنبط (قُدّست أسرارهم) ، وحاز إجازة الاجتهاد من آخرهم وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وله عدّة مؤلفات مطبوعة ، منها (أنوار الهدى في شرح العروة الوثقى) و(أقصى المقال في صفة الأغسال) وغيرهما ، وقد رأيته (طاب مثواه) ملازماً لدرس السيّد الأستاذ إلى السنوات الأخيرة .

٢٥. المرحوم الشيخ محمد الكاشفي التبريزي ، وكان من تلامذة السيّد شريعة مداري ، والعلامة الطباطبائي (طاب ثراهما) ، ومعروفاً بالتضلّع في الأدب العربي ، ولذا فقد أُنيطت به مهمّة الإشراف على كثير من الآثار العلمية التي كانت تُطبع باللغة العربية وتصحيح عبائرها ، ومن أهمها (تفسير الميزان) وبعض الرسائل العملية لبعض الفقهاء .

وكلُّ هؤلاء لم أعاصرهم في درس سماحته ما عدا الأربعة الأواخر، وأما مَن عاصرتهم فإنهم فوق حدّ الإحصاء ، ولكنني سأقتصر على ذكر أسماء عدّةٍ منهم ممن رأيتهم في درس السيد الأستاذ دام ظله – وفيهم الفضلاء والمجتهدون وأساتذة السطوح العليا والبحث الخارج والخطباء وأرباب القلم والتأليف – وهناك العشرات أمثالهم ولكنني إمّا لا أعرف أسماءهم ، وإمّا نسيتهم ، وسوف أسردهم بحسب حضورهم في الذاكرة ، وسأضمُّ إليهم أسماءَ قلّةٍ علمتُ بحضورهم في بحث الأستاذ ، وإن كنتُ لم أرهم لاختلاف وقت الحضورين ، وإليك أسماء الجميع:

١. السيد محمد علي بن آية الله السيد محمود الدهسخري الإصفهاني.
٢. السيد محمد باقر بن آية الله السيد محمود الدهسخري الإصفهاني.
٣. الشيخ حسن القمي .
٤. الشيخ عبد المجيد العيسى الأحسائي .
٥. الشيخ محمد أمين پور الأميني .
٦. الشيخ محمد باقر پور الأميني .
٧. الشيخ محمد علي البيابي التاروتي .
٨. الشيخ محمد آل حيدر التاروتي .
٩. الشيخ راضي الشيخ الأحسائي .
١٠. الشيخ عادل القميش الأحسائي .
١١. السيد هاشم الخباز القطيفي .
١٢. الشيخ حسين شرعيات النجفي .
١٣. الشيخ حسّان سويدان العاملي .
١٤. الشيخ موسى سويدان العاملي .
١٥. الشيخ محمد مكي الساعي البحراني .
١٦. الشيخ محمد أيوب العاملي .
١٧. الشيخ مهدي نجل سماحة آية الله الشيخ محمد صادق الجعفري.

١٨. الشيخ مجتبى البروجردي ، الأخ الأصغر للشهيد السعيد ، سماحة آية الله ، الشيخ مرتضى البروجردي .
١٩. الشيخ ضياء الزاير التاروتي .
٢٠. الشيخ رضا سليمان العاملي .
٢١. الشيخ حسن الفتوني العاملي .
٢٢. الشيخ صادق النسَّاج .
٢٣. الشيخ عبد الأمير الخاقاني .
٢٤. الشيخ مهدي نجل العلامة الشهير الشيخ باقر القرشي .
٢٥. السيد مهدي الحائري القزويني .
٢٦. السيد كاظم بن السيد مهدي الروحاني .
٢٧. السيد هادي بن السيد مهدي الروحاني .
٢٨. السيد صدر الدين الحسيني المازندراني .
٢٩. السيد باقر مير عباسي الرودباركي الأشكوري .
٣٠. الشيخ محمد طاهر نجل المرجع الديني الشيخ محمد بن المرجع الكبير الشيخ محمد طاهر الخاقاني .
٣١. الشيخ زكي أبو السعود القطيفي .
٣٢. الشيخ عامر كوثراني العاملي .
٣٣. الشيخ عادل الشيخ العوامي .
٣٤. السيد علي بن السيد عباس الموسوي العاملي .
٣٥. الشيخ علي زند القزويني .
٣٦. المرحوم الشيخ شايان الأرومي .
٣٧. الشيخ محمد جواد نجل آية الله الشيخ محمد رضا الطبسي .
٣٨. الشيخ محمد جعفر نجل آية الله الشيخ محمد رضا الطبسي .
٣٩. الشيخ علي رضا السنجري الأراكي .
٤٠. السيد جواد نجل سماحة السيد الأستاذ الروحاني دام ظله.
٤١. الشيخ محمد الدوخي الأحسائي .

٤٢. السيد حسين الحائري الطبسي .
٤٣. السيد محمد مهدي رفيع پور .
٤٤. السيد محمد حسن الموسوي القاروني العباداني .
٤٥. الشيخ هادي القبيسي العاملي .
٤٦. السيّد محسن البحريني .
٤٧. السيّد عبد الحسين محدّث زاده القمي الحائري .
٤٨. الشيخ الميرزا علي الروحاني القمي .
٤٩. المرحوم الشيخ فقيهي الخوانساري .
٥٠. الشيخ محمد علي شريفياني .
٥١. الشيخ الداوري النجف آبادي .
٥٢. الشيخ حيدري الكاشاني .
٥٣. المرحوم السيد التقوي القمي .
٥٤. السيّد مهدي الطباطبائي .
٥٥. السيد ضياء الدين نجل آية اللّه السيد مصطفى علم الهدى الجزائري الأهوازي .
٥٦. الشيخ محمد رضا الشريفي الخوانساري .
٥٧. الشيخ علي النودآبادي النيسابوي .
٥٨. الشيخ الدارابای المازندراني .
٥٩. السيّد علي محمد نجل آية اللّه السيد محمد باقر المصطفوي الكاشاني .
٦٠. الشيخ الأصلاني التبريزي .
٦١. الشيخ محمد علي عليا مهر التبريزي .
٦٢. الشيخ علي رضا عليا مهر التبريزي .
٦٣. الشيخ يعقوب الحويزي .
٦٤. الشيخ حسين حلبيان الإصفهاني .
٦٥. الشيخ محمد الضيغمي النجفي .
٦٦. السيد خليل الأمين العاملي .

٦٧. السيّد مرتضى درچه اي الموسوي الإصفهاني .
٦٨. الشيخ حسين نجل المرحوم سماحة آية اللّه الشيخ إسماعيل المحقق.
٦٩. الشيخ محمد نجل الخطيب الجليل العلامة الشيخ حسن علم الهدى.
٧٠. السيد علي أصغر نجل سماحة آية اللّه ، المدرِّس الشهير ، السيّد محمد جواد الذهني الطهراني .
٧١. السيّد أبو الحسن موسوي فضل الشربياني .
٧٢. الشيخ علي الصفا حفيد الخطيب الشهير ، الولائي المقدَّس ، العلامة الحجّة الشيخ الميرزا أحمد سيبويه .
٧٣. الشيخ عبد الرسول الپيماني الإصفهاني .
٧٤. الشيخ غلام حسين الپيماني الإصفهاني .
٧٥. الشيخ مهدي الحوري البحراني .
٧٦. الشيخ علي عبد الهادي خليفة البحراني .
٧٧. الشيخ علي الحبيب السنابسي التاروتي.
٧٨ - الشيخ عيسى الحماقي السنابسي التاروتي.
٧٩ . الشيخ حسين سعيد الخميس القطيفي.
٨٠ . السيد مرتضى نجل آية اللّه المرحوم السيد فضل اللّه التجويدي الإصفهاني.
٨١. المرحوم الشيخ إبراهيم الميلاد القطيفي .
٨٢. الشيخ حسين هيدوس العاملي.
٨٣. الشيخ حسان منعم العاملي
٨٤. السيد فاضل الجابري
٨٥. الشيخ حلمي السنان القطيفي
٨٦. الشيخ مهدي أسيري
٨٧. الشيخ مصطفى مصري العاملي .
٨٨.السيد أحمد الموسوي الغريفي
٨٩ - الشيخ حسن نجل خطيب البحرين الكبير سماحة العلامة الشيخ أحمد آل عصفور .
٩٠. أقلُّهم علماً وعملاً : كاتب هذه السطور .

مؤلفاته :

ولم يقتصر نشاطه العلمي على البحث والتدريس فقط ، إذ التأليف كان له منه نصيبٌ وافرٌ أيضًا ، وقد أنتج قلمه الشريف عدةً من الموسوعات المهمة ، ككتابيه الجليلين (زبدة الأصول) و(منهاج الفقاهة) الواقع كلٌ منهما في عدّة مجلدات ، وتتصدر مؤلفاته القيمة موسوعته الشهيرة (فقه الصادق) الواقعة في ستة وعشرين مجلدًا [1] ، والتي تعدُّ من أهم الموسوعات الفقهية في زماننا المعاصر .

وقد تحدَّث عنها الشهيد السيد محمد باقر الصدر (طاب ثراه) في إحدى رسائله لسماحة السيد الأستاذ الروحاني دام ظله فقال : (موسوعتكم الفقهية الجليلة ، التي تعبّر عن مقامكم العلمي الراسخ ، وقد طالعتُ بعض المواضع منها ، كمورد الاختلاف في كون المال وديعة أو رهنًا ، ولاحظتُ اتفاقنا الكامل في نتائج هذه المسألة ، التي بحثتموها بحثًا علميًا جديرًا بالإعجاب والتقدير من العلماء ، حفظكم الله ذخرًا للإسلام ، وأدامَ وجودكم، ونفع بكم) .

وإلى جانب هذه الموسوعات كتب أيضاً (فقه المسائل المستحدثة) و (نظام الحكومة الإسلامية) باللغة الفارسية ، وغيرهما من المؤلفات المهمة ، وسيأتي الحديث عن أهمها مفصلاً في أواخر الكتاب .

---

(١) وقد أُعيدت طباعتها - تحت مسمّى التحقيق - في السنوات الأخيرة في واحد وأربعين مجلداً ، ولكنَّ ذات الستة والعشرين هي الراجحة عندي .

جهاده :

والذي يجدر ذكره أنَّ السيد الأستاذ (دامت بركات وجوده) مجاهدًا ليس بأقلَّ منه عالمًا ، فقد كانت له مواقف جهادية كبيرةفي مواجهة الظلم والفساد أيام حكومة الشاه ، وقد ألمحَ إليها المؤرِّخ الرازي رحمه الله في كتابه (كنجينه دانشمندان) ، فإنّه بعد أن عرَّف السيّد الأستاذ بقوله : (سيّد العلماء والمجاهدين، حجّة الإسلام والمسلمين ، آية اللّه السيّد محمد صادق الحسيني الروحاني .. صاحب " فقه الصادق " ، من الآيات العظام، والأساتيذ الكرام ، والمدرسين أصحاب المقام)[1] قال : (ومن العلماء الأجلّاء الذين بسبب جهادهم قد وصل اسمهم إلى تمام نقاط الدولة، بل حتى إلى خارج إيران ، وقد تحمّل الشدائد في سبيل ذلك)[2] ، ثمَّ عرَّفه أيضاً بقوله:

(صاحب كمالات نفسية، وملكات فاضلة روحانية ، وهمّة عالية ، وقلب وسيع ، وفكر طويل ، ورأي متين ، ونظر دقيق، ووجه بشوش، وخلق حسن ، ولو تيسرت له الوسائل والأسباب لقدَّم خدمات كبيرة وأساسية للحوزة) ، ثمَّ قال : (من المجاهدين المعروفين ، وله

(١) گنجينه دانشمندان : ٢ / ١٦٠ ، ومقدمة الكتاب مؤرخة بسنة ١٣٩٤ هـ ، أي : قبل قرابة خمسين سنة، والسيّد الأستاذ حينها دون الخمسين من العمر .
(٢) گنجينه دانشمندان : ٢ / ١٦٠ .

أسفار قهرية واختيارية، بعضها إلى مناطق شرق البلاد – كزابل وزاهدان ويزد – وبعضها إلى المناطق الغربية ، كتبريز وخوي وزنجان ، وقد حصل له في أسفاره الاختيارية استقبال وتجليل قليل النظير ، حيث خرج لاستقباله أغلب أهل تلك المناطق)[1].

وقد تحمَّلَ السيّد الأستاذ في سبيل الجهاد وإعلاء راية الحق من الصعاب ما تنوء بحملهِ الجبال ، وإليكَ شاهدًا على ذلك قرأته في موسوعته الفقهية ، حيث قال في نهاية كتاب النكاح ، مؤرخًا إنهاء الكتابة : (وقد كان ذلك في أوائل الليلة الثانية ، من شهر ذي القعدة الحرام ، سنة ١٣٨٨ في قرية ميگون من قرى طهران ، في أواخر السنة الثانية من السنين التي كنت فيها مخرجًا من ديارى بغير حق ، للدفاع عن حريم كتاب اللّه، المتكفل بهداية البشر في جميع شؤونهم ، ولقد ضيقوا عليَّ الأمر ، ومنعوا من أن يزورني أحد ، والمأمورون في جميع الأوقات مراقبون ، وهم غلاظ شداد ، وفي هاتين السنتين لا زلتُ أُنقل من سجن إلى سجن ، ويراعون في ذلك أن أكون أيام الصيف في المناطق الحارة كزابل ، وما أدراك ما زابل ، التي كانت تبلغ درجة الحرارة فيها إلى خمسين درجة فوق الصفر ، وفي أيام الشتاء في المناطق الباردة كهذه القرية ، وأنا في هذه المدة مريض بأمراض عدة ، منها : قرحة الاثني عشر، والأطباء ممنوعون من معالجتي)[1].

(١) فقه الصادق : ٢٢/ ٣٥٠ .

وما أشارَ إليه السيدُ الأستاذ (دامت بركاته) من سجن زابل، قد سمعته ذاتَ مرةٍ يتحدثُ عنه ، فوصفه بأنه كان من حيث المساحة متراً في متر ونصف أو أقلَّ من ذلك ، وكان يتوقد لهيبًا لشدّة حرارة الهواء في تلك المنطقة ، من غير أن يُسمح فيه باستخدام أي وسيلة من وسائل التبريد ، فللهِ دره صابرًا ومحتسبًا.

مرجعيته المباركة :

عقيبَ رحيل أستاذه الفقيه الكبير ، سماحة آية الله العظمى ، السيد حسين البروجردي قدس سره سنة ١٣٨٠ هـ ، ونظراً لشهرة كتاب (فقه الصادق) العلمية ، وتألّقِ نجمه الزاهر في سماء حوزة قم المقدسة ، كواحدٍ من أبرز مدرسيها وأساتذتها ، فقد توجهت إليه الأنظار – رغم صغر سنه الشريف ، ووجود شيوخ الحوزة – ليكون أحد مراجع الدين في قم المشرفة .

١٣٨٠

وفي تلك الفترة الزمنية طُبعت له أول رسالة عملية باللغة الفارسية ، وبدأت مرجعيته بالانتشار شيئاً فشيئاً ، سيما في أوساط المجتمع الإيراني ، وصار يُشار إليه بالبنان ، حتى أنَّ بعض الأعلام الذين تمَّ الاعتماد عليهم في الشهادة لمرجعية السيد الخوئي قدس سره ، قد شهدوا له – مع وجود السيد الخوئي قدس سره – بإجزاء تقليده وإبرائه للذمة ، ومنهم: سماحة آية الله ، الشيخ محمد علي المدرِّس الأفغاني قدس سره ، الذي كتب في سنة ١٣٩٧ هـ جواباً يصرِّح فيه بذلك ، حيث قال بتعريب منّا : " تقليد حضرة المستطاب ، آية الله العظمى ، الآغا الحاج ، السيد محمد صادق دام ظله شرعي ومبرء للذمة " مضافاً إلى شهادة العالمين العلمين ، سماحة آية الله ، الآخوند الملا علي الهمداني[1]، وسماحة آية الله ، الشيخ محمد تقي البروجردي (قُدِّس سرّهما) .

وبعد رحيل أستاذه ، وأستاذ أساطين الفقهاء والمجتهدين ، مرجع الطائفة الأعلى ، السيّد أبو القاسم الخوئي قدس سره ، لمع نجمه في سماء المرجعية الشيعية[2]، وازدادت رقعة مرجعيته سعةً وانتشاراً ، وشهد بإجزاء تقليده عمالقةُ الحوزة ، ومن أهمّ الشهادات التي حازها شهادتان :

---

(١) المنقول عن الآخوند الهمداني (طاب ثراه) : أنه بعد وفاة السيد الحكيم قدس سره قد أرجع إلى أربعة من المراجع ، وهم: السيد الخوئي ، والسيد شريعة مداري ، والسيد الگلبيگاني (قُدّست أسرارهم) ، والسيد محمد صادق الروحاني دام ظله ، مع ترجيحه للسيد الخوئي على الجميع ، كما ظهر من قوله : (لو كنتُ مقلِّداً لقلدتُ السيد الخوئي) .

(٢) بل إنَّ العلامة المؤرخ الشيخ عبّاس الحائري (رحمه الله) حين استعرضَ في كتابه (حوادث الأيام : ٤٢٣) أسماء مراجع التقليد عند الشيعة الإمامية سنة ١٤٠٢ هـ ذكر أسماء المراجع المبرزين – كالسيد الخوئي ، والسيد الخميني، والسيد الخونساري ، والسيد المرعشي ، والسيد شريعة مداري ، والسيّد الگلبيگاني – وذكر السيد الروحاني دام ظله كأحدهم .

١. شهادة آية الله العظمى ، السيد علي البهشتي قدس سره ، وهي شهادة خطيّة ، أفادها بخط يده الشريفة سنة : ١٤١٤ هـ جواباً عن سؤالٍ موجّه له حول مرجعية السيد الروحاني ، فكتب ما إليك نص تعريبه : " بلحاظ المستوى العلمي ، والشرائط الأخرى المعتبرة في مرجع التقليد ، فإنني أخبر كل مَن يراجعني بأنّ إجزاء تقليد المعظم له (دامت بركاته) مُسلّم " .

بسمه تعالى

نجف اشرف

محضر مبارك حضرت آيت‌الله العظمى حاج سيد علي بهشتي دامت بركاته

پس از عرض سلام وتحيت، نظر مبارك حضرتعالى جهت تقليد مسلمانان از حضرت مستطاب آيت الله العظمى آقاى حاج سيد صادق روحانى(مدظله)، مولف كتاب "تنه الصادق" چيست؟ آيا تقليد از معظم له را مجزى ومبرى ذمه ميدانيد يا خير؟ لطفا نظر مباركتان را ذيل همين نامه يا امضا، خاص ومهر شريف مرقوم فرمائيد./

جمعى از اصناف وبازاريان تهران
٥ ذى العقده ١٤١٣

بسمه تعالى وله الحمد

موافعيت شايسته وفراوان علمى وشرايط ديگر احراز تقليد ابتدائى معظم له دامت بركاته براى مراجعين ايشان نزد داعى مسلم است. والسلام عليه وعليكم ورحمة الله وبركاته مورخه غره شهر ذى الحج ١٤١٣ هجرى

العبد العاصى على الحسينى البهشتى

كما نقلَ عنه هذه الشهادة شفاهاً الأخوان العزيزان الجليلان: سماحة الشيخ حسين الخنيزي ، وسماحة الشيخ بدر الشمّاع (وفقهما الله تعالى) .

٢ . شهادة آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، السيّد محمد الروحاني قدس سره ، الأخ الأكبر للسيّد الأستاذ دام ظله ، فقد سأله الأخ العزيز الجليل سماحة الشيخ ميثم الخنيزي (دام توفيقه) عن أخيه السيّد الصادق ، فأجابه بقوله : (لا بأس به) ، بل ورجّحه على غيره من أعلام قم المشرفة .

ونظراً لما كان يتمتع به من الثقل العلمي بنظر العلماء الأعلام من ذوي الخبرة ، فقد اتسعت رقعة مرجعيته المباركة ، سيما بين الإيرانيين والأتراك ، ورجع له بعض المقلدين أيضاً في العالم العربي ، وبالخصوص في لبنان والكويت والقطيف والعراق[1] .

(١) ما كتبته في هذه النقطة لا يعدو كونه توثيقاً للتاريخ ، وإلا فإنَّ جميع مَن يعرفني يعلم بأنني لا أتدخل في مسألة المرجعية ، وترجيح مرجع على آخر .

أخلاقه الجميلة :

ولا يفوتني أن أشير – وأنا في نهاية المطاف – أنَّ السيد الأستاذ (دام ظله الشريف) مضافًا إلى كل ذلك ، يتمتع بصفات نفسية وأخلاقية يقلُّ مَن يتصف بها ، فهو مِن أخفض العلماء جناحًا ، بحيث لا يجد الإنسان أيَّ صعوبة في التقرب منه ، وتعميق الصلة به .

وإني لستُ أعجبُ من شيء كما أعجب من روح الإنصاف التي يحملها ، فطالما سمعته يمدح أقرانه من المراجع العظام، كل واحد بما يتميز به ، من غير أن يبخس لأحد حقًّا من حقوقه، والأعجب من ذلك أيضًا إنصافه حتى لبعض المختلفين معه ، ومدحه لهم فيما يتميزون به ، مع عدم حاجته إلى ذلك.

ولو أردتُ للقلم أن يسترسل في الحديث عن السيد الأستاذ (دام عزه) لاسترسلَ وأسهب ، غير أنَّ المقام يضيق عن ذلك، ولعلَّ ما كتبته يحلو للبعض أن يعتبره إسهابًا ، ويحق له ذلك، ولكنَّ عذري أنَّ السيد أستاذي ، وما كتبته إنما هو قضاء لبعض حقوقه، وحقوقه أكبر من أن تقضى[1].

(١) : لقد نُشرت هذه المادة – كما أشرتُ في اوّل هذا الكتاب – سنة ١٤٣٢ هـ ضمن كتابي (دوحةٌ من جنّة الغري)، ولكنّها كانت محكومة بالخطّة التي وضعتها لذلك الكتاب ، فكانت مختصرة مضغوطة ، وأما في هذا الكتاب فقد استدركتُ عليها وأضفتُ إليها الكثير .

« بين يدي الأستاذ الروحاني دام ظله »

بسم الله الرحمن الرحيم

خمسة عشر عاماً قضيتها بين يدي المرجع الديني المفدى ، سماحة آية الله العظمى ، أستاذي الأكبر ، ووالدي الثاني ، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (دامت وعمّت بركات وجوده) ، ولذا فحينما أريد أن أختصرها وألملم روائع ذكرياتها أستشعر صعوبة الأمر ووعورة الطريق ، لولا اعتقادي بأنَّ (ما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه) وأنَّ (الميسور لا يسقط بالمعسور) ، وأنَّ له من عظيم الحق ما يوجب شكر بعض أياديه الكبيرة ونعمه الوفيرة .

وسوف أقف – من خلال هذه السطور – عند عدّة من المعالم الشامخة في حياة سماحة السيد الأستاذ (دام ظله الشريف) :

المَعْلَمُ الأول : عشق العلم .

وهو دون العاشرة من العمر حتى ذرفَ على التسعين – أي : في مدّة تنيف على الثمانين عاماً – لم ينقطع عن العلم والتعليم، فطوى صفحات عمره المبارك متعلماً ومعلماً ومؤلفاً ، حتى في أحلك الظروف وأقساها ، فكان حتى في فترات تبعيده ونفيه إلى بعض المناطق النائية في عهد حكومة الشاه المقبور لا ينقطع عن مواصلة اشتغاله العلمي ، حيث أتمَّ فيها تأليف العديد من أجزاء كتابه الفقهي الشهير (فقه الصادق) .

وقد أنتجَ هذا العشق للعلم ثماراً علمية كبيرة ورائعة ، أبرزها: موسوعته الفقهية الكبرى (**فقه الصادق**) في ستةٍ وعشرين جزءاً، و (**منهاج الفقاهة**) ، و (**زبدة الأصول**) ، كلٌ منهما في عدّة مجلدات[1].

وحين تشرفتُ بالحضور تحت منبره الشريف لمستُ منه هذه الحالة من العشق بالوجدان ، وسأذكر عليها شاهدين :

الشاهد الأول : وجدته السبّاق دوماً للشروع في البحث – في نهاية كلّ تعطيل – قبل شروع بقية البحوث ، كما أنه لم يكن ينهي أبحاثه – في نهاية كلّ موسمٍ دراسي – إلا بعد أن تنتهي بقية الأبحاث العالية ، وهذا يعكس بوضوح مدى علوّ همته وشدة اهتمامه بالتعليم وتربية الفضلاء والمجتهدين ، ولا يعني ذلك التقليل من شأن غيره من أعلام الحوزة ومدرسيها ، فلكلٍّ منهم ظروفه ورؤيته الخاصة .

الشاهد الثاني : استغلاله العطل الدراسية لتدريس بعض الدروس الحوزوية ، ومن أهمّ هذه العطل شهر رمضان المبارك، فإنه قد جرت عادته دام ظله فيه على تدريس بعض الأبواب أو القواعد الفقهية ، أو بعض المسائل الأصولية الدقيقة .

وقد وُفقتُ سنة ١٤٢٣ هـ للحضور عنده دام ظله في إحدى دورات دروسه الرمضانية ، والتي كانت تدور حول حقيقة التزاحم وأقسامه ومرجّحاته ، والفرق بينه وبين التعارض ، وكان قد بدأ سنتها بإلقاء بحوثه من أول ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك

---

(١) لقد طلبَ مني بعضُ مَن لا أقوى على ردّ طلبه أن أقوم بالتقديم للطبعات الجديدة من هذه الكتب الثلاثة، فاستجبت لذلك ، وسوف ألحقها بهذه المقالة إن شاء الله تعالى ، مضافاً للتقديمين اللذين كتبتهما لكتابيه : فقه المسائل المستحدثة ، وفقه الاجتهاد والتقليد ، واللذين تشرفت بتحقيقهما .

إلى آخر ليلة منه بلا استثناء ، حتى أنني أنكرتُ عليه التدريس في ليالي شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي : إنها من ليالي القدر المباركة، والذي انتهى إلينا من أعلام الطائفة – كابراً عن كابر– أنَّ مذاكرة العلم هي أفضل أعمال ليالي القدر ، فعملاً بذلك وبما دلَّ على استحباب تعظيم الشعائر نجمع بين البحث وإحياء الشهادة ، فكانَ (دامت بركاته) يواصل إلقاء أبحاثه الشريفة ، وريثما ينتهي يصعد الخطيب المنبر ناعياً أمير المؤمنين عليه السلام .

المَعْلَمُ الثاني : الاهتمام بالحوزة المشرفة .

لا شك أنَّ الانتماء لجهةٍ معينة يجعل لها حقاً على المنتمي إليها ، سيما إذا كانت هذه الجهة مصدر نمو وبناء لشخصية المنتمي ، وهذا ما يستوجب أن يعيش أعلام الحوزة هموم الحوزة الشريفة وآلامها ؛ لأنهم يرونها صاحبة الفضل عليهم ، فتراهم يسعون دائماً لردّ بعض جميلها ، وما اهتمامهم بعملية التدريس والتأليف وتربية الفضلاء والعلماء إلا جزء من أدائهم لواجبهم تجاه حقوق الحوزة الكبيرة عليهم .

وهذا ما لمسته وتعلمته من سيدي الأستاذ (دامت بركاته) ، فإلى جانب التزامه بالتدريس منذ نعومة أظفاره – حيث كان في النجف الأشرف – إلى أن ناهز التسعين من عمره الشريف ، والتزامه بالتأليف والتصنيف فقهاً وأصولاً وكلاماً ، فقد رأيت منه بعض المواقف المعبّرة عن هذا المعلم في شخصيته ، ولا بأس أن أذكر منها موقفين :

الموقف الأول : استدعاني ذات مرة بعد نهاية درسه الشريف ، وقال لي : هل لك ثمة علاقة بفلان ؟ وذكر اسم شخصية من شخصيات الحوزة ، فقلتُ له : وماذا تريدون منه ؟ فقال : لقد أجرت معه بعض الصحف لقاءً ، وقد انتقد الحوزة انتقادات لاذعة جداً ، وأنا وإن كنت أتفقُ معه في بعضها ، إلا أنني أختلف معه في التصريح بها عبر الصحف ؛ إذ أنها من الشؤون الخاصة ، فتنبغي مداولتها داخل أروقة الحوزة ، لئلا يسيء فهمها مَن لا يعرف خصوصيات الحوزة ، فيلزم من ذلك توهين الحوزة المباركة والتقليل من مكانتها في نفوس المؤمنين .

الموقف الثاني : دخلتُ عليه قبل سنوات قريبة – وكان ذلك بعد أن أوقف زعيم الحوزة العلمية في قم المقدسة الشيخ الوحيد الخراساني (دامت ظلاله الوارفة) بحثه الأصولي ، واقتصرَ على بحثهِ الفقهي – فسألني : هل يُوجد الآن في الحوزة العلمية درس أصولي عام يرتاده عامة الطلاب ؟ وكان يعني بذلك درساً لأحد الأساتذة من الطبقة الأولى ، فأجبته بالنفي ، فقال : من المؤسف جداً أن حوزةً كحوزة قم لا يوجد فيها درس أصولي يكون مقصداً لعموم الطُلاب على مختلف طبقاتهم ، ومن هنا فإنني أرى أنَّ مِن واجبي أن أشرع في تدريس الأصول ، وقد كان الأمر كما قال ، حيث انتهى من تدريس كتاب الإجارة ، وشرعَ في تدريس دورة أصولية جديدة ، ولكنَّ المرض داهمه فحُرمت الحوزة من سخيّ عطائه .

وإنّي وإن لم أتشرف بالحضور في هذه الدورة ، ولكن سبق لي أن حضرت لديه دورة موؤدة قد كان يلقيها عقيب بحثه الفقهي قبيل صلاة الظهر ، فوجدته رغم أنَّ له دورة أصولية مطبوعة – وهي : المسماة بـ (زبدة الأصول) – يهتم بمطالعة المباحث الأصولية مطالعة جديدة ، ويهتم بعرض بعض ما لم يتعرض له في دورته المطبوعة ، ومن ذلك آراء أخيه الأكبر المحقق الروحاني (طاب ثراه) ، فإنه كان يطرحها معبرّاً عن أخيه بـ (بعض الأساطين) ويناقش آراءه الشريفة .

المَعْلَمُ الثالث : توقير مقام المرجعية الدينية .

ولا يخفى أنَّ هذا المَعْلَم حين تقرأه في حياة أحد أهل الإيمان فهو منبّه على سمّو روحه الإيمانية ، وقوَّةِ وعيه ، وعمقِ انتمائه ، ولكنك حين تقرأه في حياة مرجعٍ من مراجع الطائفة (أنارَ اللّه برهانهم) فهذا له دلالات أسمى وأقوى وأعمق ، ولكنني لستُ بصدد الحديث عن هذه الدلالات في هذا المقام ، متعمداً أن أطلق العنان أمام فكر القارئ ليبحر أينما يبحر ، ويحلّق أينما يحلّق .

وكيفَ كان ؛ فإنَّ لهذا المعلم في حياة سيدي الأستاذ (دامت ظلاله) مظاهر كثيرة جداً ، ولكنني سأكتفي بذكر بعضها :

المظهر الأول : لقد كان الكثير من الإخوة العراقيين يستفتون سماحة السيد الأستاذ دام ظله حول بعض الأمور التي تخصّ الشأن العراقي،

فكان يرفض التدخل فيها ، ويأمرهم بالرجوع إلى مراجع النجف الأشرف، والخضوع لقرارات المرجعية الدينية في النجف الأشرف والالتزام بمواقفها.

المظهر الثاني : رأيته دام ظله في إحدى المناسبات الخاصة به ، حين قصده مجموعة من العلماء لأداء الواجب إزاءه ، قد اعتنى عنايةً مميزة بأحدهم ، ألا وهو سماحة آية الله العظمى ، زعيم الحوزة العلمية في قم المقدّسة ، الشيخ الوحيد الخراساني (دامت بركات وجوده)،وبعدها بيومٍ أو يومين دخلتُ عليه زائراً في مجلسه الخاص، فقال لي:إنَّ بعض الحاضرين في تلك المناسبة قد أبدى امتعاضه من حفاوتي بالشيخ أكثر من غيره، غير أني قلت لهذا الممتعض: إنَّ وظيفتي هي احترام الجميع وتقديرهم ، ولكن لا يصح أن تكون حفاوتي بالجميع واحدة ، رغم اختلاف الطبقات والدرجات ، فلمراجع الدين مكانةٌ لا بدَّ أن تحفظ.

بدرانِ شعَّا بقمٍّ فغيَّبَا كُلَّ ديجورْ
لمَّا أطلَّا جميعاً قلتُ التقى النُّورُ بالنُّورْ

المظهر الثالث : في فترةٍ من الفترات قد انتشرت إشاعة مفادها: أنَّ وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد قد قدّم للمرجعية الدينية في النجف الأشرف مائتي مليون دولار ، من أجل أن لا تقف أمام مشروع الاحتلال، وقد روّجت بعض الجهات لهذه الإشاعة ترويجاً كبيراً جداً على مستوى مواقع الانترنت والإعلام الفضائي المعادي للمرجعية المباركة ،

فكانت تصل لسماحته – مِن غير مبالغة – عشرات الأسئلة حول الموضوع ، وكان في بداية الأمر يهزأ بها ، ويتعجب من احتمال بعض الشيعة لصحتها ، ولكنَّها لما كثرت وتضاعفت أصرَّ أن يكتب جواباً عنها ، فكتب التالي : (إنَّ تاريخ المرجعية الدينية الشيعية – منذ بداية الغيبة الكبرى حتى يومنا هذا – يشهد لها بأنها في أعلى مستويات العزّة والنزاهة ، فلم تخضع يوماً لسلطان، ولم تنحنِ يوماً لحكومة ، بل أعيت بإبائها وشموخها كلَّ دول الكفر الكبرى .

ومن السخيف جداً أن تُتهم المرجعية الدينية بقبول بعض الأموال – مهما بلغت – من بعض دول الاستعمار ، وكأنها في حاجةٍ لذلك ، مع أنها [كمنصبٍ ، لا كأشخاص] غنيةٌ ببركة الأموال الشرعية التي بين يديها – سواء كانت من الصدقات أم من الزكوات أم من الأخماس أم من التبرعات العامة – والتي تعادل بمجموعها ميزانية بعض الدول والحكومات .

والذي ينبغي على أبنائنا وبناتنا : أن يلتفتوا إلى أنَّ مثل هذه الإثارات ما هي إلا دعايات مغرضة ، لا هدف من ورائها سوى تشويه صورة المرجعية الدينية المباركة في النجف الأشرف وقم المقدسة ، ومحاولة توهين منصبها الشامخ ، من أجل القضاء على فاعليتها وتأثيرها في المجتمع الإسلامي كلّه) .

المظهر الرابع : ما تحدثتُ عنه في كتابي (**دوحة من جنة الغرّي**) عند حديثي حول سماحة آية الله العظمى ، السيد أبو القاسم الكوكبي قدس سره ، حيث قلت : (ولا زلتُ أتذكر أنَّ سيدي الأستاذ ،

سماحة آية الله العظمى ، السيد محمد صادق الروحاني دام ظله ، في يوم الثلاثاء [١٧ذو القعدة ١٤٢٦ هـ] قد اختتم درسه بالرواية الشريفة : «إذا ماتَ العالم ثلم في الإسلام ثلمة»، ثم تحدّث في كلمةٍ مختصرة عن سماحة السيد الكوكبي، وأفاد بأنه ممن وفقهم الله تعالى لخدمة العلم والشريعة طوال حياتهم ، غير أنه كان عالماً مجهول القدر .

ثم دعا الحاضرين من طلبته للذهاب إلى بيت السيد الراحل ، تقديراً لمقامه العلمي ، وتسلية لأهله ، بعد أن أعلنَ التعطيل في يوم الأربعاء ، حداداً على رحيله المؤلم ، وتعظيماً لجلالة شأنه)[1] ، وكما قال فعل ، فقد خرجَ بعد الدرس تحفُّه كوكبةٌ من تلامذته، ومضى ماشياً إلى بيت السيد الكوكبي (طابَ ثراه) في موكبٍ علمائي مهيب ، وعزَّى أسرته الكريمة وتلامذته الأجلاء ، وكان ذلك إعزازاً منه لمقام هذا المرجع العظيم وعرفاناً لحقه .

(١) دوحة من جنّة الغري : ١٨٠ .

المظهرُ الخامس : استفتى أحدهم المرجع الديني الكبير ، سماحة آية الله العظمى ، الشيخ الميرزا جواد التبريزي (طيّب الله ثراه) حول مسألة لعن المبتدع ، ثمَّ جاء بالاستفتاء مذيلاً بجواب الشيخ التبريزي لسيدنا الأستاذ دام ظله ، فأخذه وتأمّلَ فيه ثمَّ كتبَ أدناه بيدهِ الكريمة : (باسمهِ جلَّت أسماؤه . ما كتبه الآيةُ التبريزي صدرَ من أهله ، ووقعَ في محله).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن على أعدائهم أجمعين.

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الميرزا التبريزي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو التفضل بالإجابة على الآتي:

جاء في صراط النجاة ج١٢ ص٤٤٥: هل يجوز لعن شارب الخمر المتجاهر حتى لو كان موالياً؟

الجواب: لا يجوز لعن من هو مؤمن.

التبريزي: على الأحوط.

وجاء في صراط النجاة ج٣ ص٢٩٨: هل يجوز أن يلعن الناس أو يتهجم عليه بألفاظ جارية في غير حضوره أو يدعى عليه أم لا؟

الجواب: لا يجوز لعن المؤمن أو سبه أو الدعاء عليه بل عليه أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إن أمكن، والله العالم.

التبريزي: يرجى الى جوابه: اذا كان سديدا.

١- هل الاستثناء المذكور في جواب الاستفتاء الثاني خصوص المبتدع في الدين كما هو كذلك أم أنه من باب مزيد التوضيح ودليل لأن السيد الخوئي (ره) عند صريح في مصباح الفقاهة ج١٢ ص٢٨١ و٢٨٥ بأن المتجاهر بالفسق يجوز سبه ويتدرج سبه المبتدع في الدين ضمن المتجاهر بالفسق؟

٢- واذا كان السيد الخوئي اذا يرى جواز سب المبتدع بالدين كما يدرجه تحت عنوان المتجاهر بالفسق فهل يكون ما ذكره في صراط النجاة عدولا عن رأيه أم أن هناك وجها آخر للجمع كالقول بأن الاستدراك كان يلفظ يا شارب الخمر أو يا فاسق فجائز وإن كان يلفظ آخر مثل يا خمر أو يا كلب فغير جائز؟

بسمه تعالى: يجوز لعن المبتدع والمرتكب عليه ليستطيع من أعين الناس كي لا يتعاملوا معه وهذا أكثر أثرا في ردعه عن بدعته والله العالم

مكتبة الآية التبريزي الحائري

٤١٧

وهذا مطلبٌ جليل جداً ، فإنَّ تأييده للإجابة عن طريق التذييل ، مع تعبيره عن الشيخ الميرزا بـ (الآية) ، ينبئك عن سموّ روحه ، وعظمة أخلاقه ، وتوقيره لمقام المرجعية الدينية وإجلاله لها ؛ إذ كان بإمكانه أن يجيب مستقلاً ، ولكنّه تسامى بفكره كما تسامى بأخلاقه ، فاختار الإجابة بالتأييد ، ولعلّه وجدَ في ذلك فرصةً لرسم صورة من صور التآزر والتلاحم بين المراجع العظام (أنار الله برهانهم) في أذهان الشيعة والمقلدّين، فلم يتأخر عن رسمها بريشته المبدعة وقلمه الجميل.

المَعْلَمُ الرابع : الاهتمام بالعالم الإسلامي والشيعي .

وقد تجلّى هذا المعلم في حياته الشريفة من خلال مواقف كثيرة ، يكفيني أن أضع اليد على بعضها :

الموقف الأول : مواكبة أحداث العالم الإسلامي .

فقد وجدته منذ عرفته متابعاً لما يجري في العالم الإسلامي مع اهتمامٍ فائق ، فيفرح لفرح المسلمين ويتألم لآلامهم ، وكانَ من شدةِ اهتمامه أنه لا يكاد يمرُّ حدث من أحداث العالم الإسلامي إلا ويسجّل له موقفاً من خلال أحد البيانات التي كان يصدرها ، وقد تحدثتُ معه ذات مرة ناقلاً له كلامَ بعضهم ، فقلتُ له : سيدنا ، إنك تكثر من كتابة البيانات ، ولعلّك لو اقتصرت على كتابة بعضها يكون أقوى تأثيراً !

فقال : " إنني أرى أنَّ المرجعية الدينية ينبغي أن يكون لها حضورٌ واضحٌ في كلّ حدثٍ من الأحداث المهمّة " .

وأتذكر أنه ذات مرة أصدر بياناً يخصّ شأن الشيعة في اليمن، وكان له صدى واسع في الصحف الإيرانية ، مما أوجب الحرج للسفارة اليمنية في طهران ، فما كان من السفير اليمني إلا أن طلب مقابلة سماحته ليشرح له الأوضاع من زاويةٍ أخرى ، وقد فوجئنا ونحن في درس سماحة سيدي الأستاذ (دامت بركاته) في حسينيته العامرة بحضور السفير اليمني وجماعة من الدبلوماسيين ، فرّحب سماحة الأستاذ بهِ وبهم ثمَّ استمر في

درسه الفقهي ، وبعد أن انتهى من الدرس اجتمعَ بهم في مجلسه الخاص ، وكان من المفاجئ – بحسب نقل بعض الحاضرين للجلسة الخاصة – للسفير اليمني أنه كلما حاول أن يوجّهَ بعض التصرفات بنحوٍ معيّن يواجهه السيد الأستاذ بالحقيقة على خلاف توجيهه ، موثقاً لما يقوله وكأنه أحد أهل اليمن .

الموقف الثاني : التصدّي للإجابة عن عامة الأسئلة .

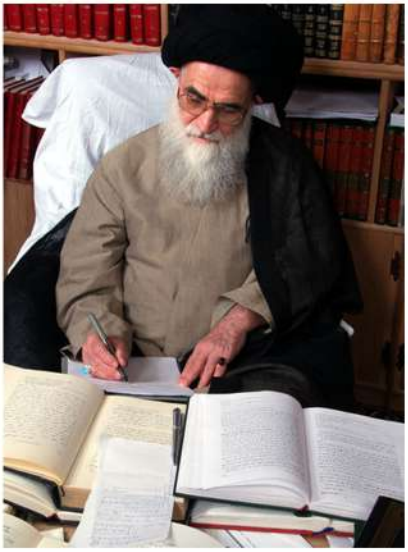

كلما دخلتُ عليه في غرفته الخاصة وجدتُ بين يديه – إلى جانب الكتب التي يعتمدها في المطالعة – ركاماً من الأسئلة التي كان يصله أكثرها عبر موقعه الالكتروني، منها العلمي والفقهي والعقائدي والتفسيري والتاريخي وغير ذلك من أنواع الأسئلة، وكان في مفتتح كلّ يومٍ إذا تأخر المسؤول عن إيصال الأسئلة إليه يبادر بالتحرّي عنها، ومتى ما وقعت بين يديه كان يفرّغ نفسه للإجابة عنها في آناءٍ من الليل وأطرافٍ من النهار ، مِن غير سأمٍ ولا كلل، كما كان يحيل بعضها لغير واحدٍ من تلامذته ، وكنتُ أشفق عليه أحياناً لكثرتها ، فقلتُ له غير مرة : سيدنا ، هلا انتخبت منها المهم وأجبت عنه ، وتركتَ ما لا أهمية له ، وكان يجيبني: «إذا أنا لم أجب ، وغيري لم يجب ، فمن الذي يجيب عن أسئلة الشيعة ، ويرفع الحيرة عنهم ؟! ».

الموقف الثالث : لقد أبلى سماحته بلاءً كبيراً في مجاهدة الظلم والفساد أيام حكومة الشاه، كما تشهد بذلك الوثائق التاريخية الكثيرة التي أرّخت لتلك الحقبة .

حتى جاء في تقرير أمن الدولة آنذاك – المعروف بـ (السافاك) – سنة ١٩٥٩ م مَا مُلخص ترجمته كالتالي : (تأييداً للمعلومات السابقة ، فإنَّ السيد صادق الروحاني من الآيات الأوائل المقيمين في مدينة قم ، وهو يتمتع بنفوذ واعتبار لافتٍ للنظر ، ويُعتبر من أوائل الأشخاص الذين أبدوا ردّة فعل تجاه مقالة الاستعمار الأحمر والأسود ، كما أنه بدأ بنشاطات مميزة خارج البلد ، فعلى كل حال يلزم إبعاده عن هذه الأجواء ، حتى لا يحصل على المزيد من الأنصار ضدّ السلطة)[١].

وقد أفصحَ (دامت بركاته) في غير واحدة من كلماته عن الأسباب والأهداف التي دعته إلى أن يتحمل النفي والسجن والمشاق لسنيّ عدّة ، فقال دام ظله في إحدى كلماته : (وقد كتبتُ كتاب الحج في ثلاثة أجزاء في بلدة يزد ، حينما أخرجوني من بلادي ظلماً بجرم الدفاع عن الدين وأحكام الإسلام ، وأجبروني على المقام بها ، والآن أيضاً أنا في ميكون قرية من قرى طهران، وعلى ما أخبروني أخيراً أنَّ بناء الحكومة على أن ينقلوني من هذا المكان إلى مكان أبعد ، وعلى الجملة أني قريب من سنتين لا أزال أنتقل من سجن إلى سجن ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)[٢] .

---

(١) السيرة الذاتية : ٥١ ، وتوافق السنة المذكورة سنة ١٣٧٨ هـ
(٢) فقه الصادق : ٢١ / ٣٢٦ .

وقالَ أيضاً في موضعٍ آخر : (والحمد للّهِ على ما هدانا ، وله الشكر على ما أولانا من إتمام كتاب النكاح الذي هو آخر قسم العقود ، وقد كان ذلك في أوائل الليلة الثانية من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٨٨ في قرية «ميگون» من قرى طهران ، في أواخر السنة الثانية من السنين التي كنت مخرجاً من ديارى بغير حق ، للدفاع عن حريم كتاب اللّهِ المتكفّل بهداية البشر في جميع شؤونهم في أجيالهم وأدوارهم ، ولقد ضيّقوا عليّ الأمر ومنعوا من أن يزورني أحد ، والمأمورون في جميع الأوقات مراقبون ، وهم غلاظ شداد ، وفي هاتين السنتين لا أزال أنتقل من سجن إلى سجن ، ويراعون في ذلك أن أكون في أيام الصيف في المناطق الحارة كزابل ، وما أدراك ما زابل ، كان تبلغ درجة الحرارة إلى خمسين درجة فوق الصفر ، وفي أيام الشتاء في المناطق الباردة كهذه القرية ، وأنا في هذه المدة مريض ، وبي أمراض منها قرحة الاثني عشر ، والأطباء ممنوعون من معالجتي، (وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)[1] .

وقد سمعتُ منه دام ظله أنَّ سجن زابل الذي وُضِعَ فيه كان زنزانة لا تتجاوز المتر في متر ونصف ، وكانت تتوقد لهيباً لشدة حرارة الهواء ، من غير أن يُسمح له فيها باستخدام أيِّ وسيلةٍ من وسائل التبريد .

ونظراً لشدة ما تحمله وعاناه في سبيل ذلك ، فقد بعثَ له السيد الخميني من النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ هـ شاكراً له جهوده

(١) فقه الصادق : ٢٢ / ٣٥٠ .

ومعاناته قائلاً : (أشكر لسماحتكم ما تتحملونه من الصعاب والمشقة ، وآمل أن يعوضكم الله ، ويمنُّ على سماحتكم بالسلامة والسعادة)[1].

وكتبَ له في رسالةٍ أخرى : (لقد استفسرت كثيراً من المقربين من سماحتكم وآخرين عن أحوالكم ، ووفقت بالزيارة والدعاء لسماحتكم وبقية السادة في مراقد الأئمة الأطهار (عليهم صلوات الله) ، والآن وعندما سمعت أنكم انتقلتم فلا أدري تماماً ما هي أوضاعكم ؟ أدعو الله تعالى أن تتهيأ الظروف لراحتكم إن شاء الله ، وأن يفرج الله تعالى عنكم .

وإنَّ ما يهوّن الأمر هو تضاؤل أهمية الآلام والشدائد حينما تؤدى المسؤولية ، وأنَّ هذه الايام كيفما تكون فإنها ستمر " وإليه المرجع والمآب ")[2].

---

(١) صحيفة الإمام : ١ / ٣٩٣ .
(٢) صحيفة الإمام : ٢ / ١٤٨ .

المَعْلَمُ الخامس : الغيرة على الدين .

وهذا العنوان له مظاهر كثيرة في سيرته الشريفة ، ولكنني سأكتفي برصد بعضها ، كما صنعت مع العناوين السالفة .

المظهر الأول : في سنة ١٣٨٠ هـ كتب المدعو (إبراهيم الجبهان) في إحدى المجلات رسالة لشيخ الأزهر حينها : الشيخ محمود شلتوت ، على إثر فتواه بجواز التعبّد بمذهب الشيعة ، وكانت الرسالة تتضمن هجوماً شرساً على الشيعة الإمامية ، وتعديّاً سافراً على الإمام الصادق عليه السلام ، فأحدثت الرسالة ضجّة كبرى في العالم الإسلامي ، وأجّجت الفتنة بين المسلمين .

وقد انزعج السيّد الأستاذ دام ظله منها انزعاجاً بالغاً ، فما كان منه إلا أن أرسل العديد من الرسائل الاحتجاجية للعديد من شخصيات العالم الإسلامي حينها ، ولنترك المجال للعلامة الحجة ، الشيخ سلمان الخاقاني (طاب ثراه) ليحدثنا عن مجريات الأحداث في تلك الحقبة ، حيث يقول : (أردتُ الاطلاع على الأثر السيء الذي أحدثه مقال الجبهان عند إخواني العلماء في مدينة قم ، فراسلتُ صديقي العلامة حجّة الإسلام والمسلمين ، آية الله السيّد محمد صادق الروحاني ، صاحب كتاب "فقه الصادق" حفظه الله ، وهو من مدرِّسي قم المعدودين ، ومن الأشخاص المعروفين بعقلهم واتزانهم ، بالإضافة لما عُرِف به من الفضل والتدريس ، فأخبرني "سلمه الله" أنَّ المجلة وصلت قم ، وأنها أحدثت أثراً سيئاً عند علمائنا الأعلام)[1].

(١) نقد وتعليق على رسالة الجبهان لشيخ الأزهر : ٦

إلى أن قال متحدّثاً عما قامَ به السيّد الروحاني ، فقال : (أمَّا هو "سلَّمه اللّه" فقد أرسل عدّة رسائل لشخصياتٍ متفرقة ، فقد أرسلَ رسالة لشيخ الأزهر الشريف ، وثانية لجلالة الملك سعود – ملك المملكة العربية السعودية – وثالثة لأمير الكويت ، ورابعة لسفير المملكة السعودية في طهران ، سعادة : حمزة غوث ، وخامسة لمدير مجلة "راية الإسلام")[١].

ومَن أراد الاطلّاع على الرسائل المذكورة فليرجع إلى كتاب (نقد وتعليق على رسالة الجبهان لشيخ الأزهر)[٢] .

المظهر الثاني : في بداية سنة ١٣٩٤هـ تمَّ الإعلان عن إنتاج فيلم سينمائي يجسّد شخصية النبي الأعظم ﷺ ، وبمجرد أن تناهى خبر الفيلم إلى مسامع السيد الأستاذ (دامت بركاته) لم يدّخر وسعاً في السعي للمنع من تجسيد شخصية النبي الأعظم ﷺ ، فأرسل عدة رسائل لرؤساء الدول الإسلامية ومراكز القرار فيها ، محفزاً لهممهم ، ومثيراً لغيرتهم ، ومحركاً لحميتهم ، لاتخاذ موقف عاجل إزاء الفيلم المذكور ، وكانت من ضمن تلك الرسائل رسالة لشيخ الأزهر ، وأخرى لرابطة العالم الإسلامي ، وثالثة للملك فيصل آل سعود .

وقد تمَّ – على إثر ذلك – إيقاف تنفيذ ذلك الفيلم ، رغم تبني العديد من الدول العربية له حينها[٣].

---

(١) نقد وتعليق على رسالة الجبهان لشيخ الأزهر : ٧.
(٢) نقد وتعليق على رسالة الجبهان لشيخ الأزهر : ٥٧ فما بعد .
(٣) راجع وثائق المراسلات في كتاب (نامه هاى تاريخى) الصفحة : ٤٠٢ فما بعدها .

المظهر الثالث : قبل سنوات ليست بالبعيدة اعتدى أحد النواصب على مقام الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام اعتداءً سافراً بكلماتٍ يهتزُّ لها العرش ، ولم أكن حينها متواجداً في قم المقدسة ؛ إذ كان ذلك في شهر رمضان المبارك ، ولكن أخبرني سبطُ سماحته: أنّ كلام ذلك الناصبي قد سلب سماحة السيد دام ظله نومه ، لشدة ما دخله من الغيظ والألم ، ثم إنه لم يهدأ له بال حتى أصدر بياناً شديد اللهجة ، يدين فيه اعتداء ذلك الناصبي ، بل وحكم فيه بهدر دمه إن لم يتراجع عن جريمته ويصدح بتوبته .

المظهر الرابع : التصدِّي للردّ على محاولات التشكيك في ثوابت المذهب الشريف ومسلّماته مِن أيّ جهةٍ صدرت ، وهنا يعجز القلم عن رصد الموارد الكثيرة التي تصدّى فيها دام ظله لمحاولات التشكيك والمشكِّكين وأهل الريب والشبهات ، فقد كانت لا تأخذه في الحق لومة لائم أبداً ، ولا يخشى في ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ونظراً لكثرة ما رشح عن قلمه الشريف في هذا الصدد ، وانتشاره انتشاراً كبيراً بين المؤمنين ، لا أجدني بحاجةٍ للتدليل عليه ، وبالإمكان مراجعة كتابه الشريف (أجوبة المسائل) للتعرّف على بعض ما صدرَ عنه ، فإنه لم يبقَ رأسٌ من رؤوس الضلال إلا ودكّ حصونه ، ولا شبهةٌ من شبهات أهل الريب إلا وكشفَ زيفها وأوضحَ عوارها .

فهو مصداقٌ من مصاديق قول رَسُول اَللّهِ الأعظم صلى الله عليه وآله : (يَحْمِلُ هَـذَا اَلْعِلْـمَ مِـنْ كُلِّ خَلَـفٍ عُدُولُـهُ ، يَنْفُـونَ عَنْـهُ تَحْرِيـفَ اَلْغَالِيـنَ ، وَاِنْتِحَالَ اَلْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ اَلْجَاهِلِينَ)[1].

(١) معاني الأخبار : ٣٥ .

المَعْلَمُ السادس : مكارم الأخلاق .

وهنا تقف شاخصةً أمامي الكثير من السمات الأخلاقية الفاضلة التي اتسمت بها شخصية السيد الأستاذ دام ظله ، ولأقف عند بعضها:

السمة الأولى : التواضع ، وأعتقد أنّ كلّ مَن اقترب منه قد لمسَ هذه السمة منه ، حيث لم يكن يتكلف في تعاملهِ مع الآخرين ؛ ولذا كان كل مَن يقترب منه يشعر بأنّ له حظوةً عنده، حتى مِن غير طلبة العلوم الدينية .

وأتذكر أنني في سنةٍ من السنوات كنتُ في أواخر شهر صفر متواجداً في قم المشرفة، وكان للأستاذ دام ظله مجلس تعزية يبدأ من يوم الأربعين ويمتد إلى آخر شهر صفر ، فحضرتُ مشاركاً في مجلسه الشريف يوم شهادة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، ولمّا انتهى المجلس وأردتُ الخروج ذهبتُ لأقبّل يده المباركة وأعزيه وأستأذنه في الانصراف ، فأمرني بالبقاء لتناول بركة طعام التعزية ، ثمّ حضر وقت صلاة الظهرين ، فهيأوا له سجادة الصلاة وائتم به المعزّون ، وبعد أن فرغ من الصلاة مدّ خُدّام التعزية سفرة الطعام لجميع المُعزّين ، وقد عجبتُ جداً حين رأيته دام ظله قد رمى بعصاه جانباً ، وانحنى بشيبته البهيّة ، وجلس على الأرض بكلّ تواضعٍ كبقية المعزّين وصار يشاركهم الأكل من المائدة المباركة .

السمة الثانية : سموّ النفس ، والترفع عن سفاسف الأمور ، وقد لمستُ منه هذه الروحية الكبيرة حين سُلبتُ – في السنوات الأخيرة – شرف الحضور في درسه الشريف، مما أوجبَ لي تحرجاً من مقابلته ، وتثاقلاً عن التشرف بزيارته ، فلما أدرك دام ظله ذلك بعثَ إليَّ يطلبني إليه ، فلما دخلتُ عليه رّحبَ بي ترحيباً أشعرني من خلاله بعدم طروء أيّ تغيّر في علاقتي به ، ثم بعد أن عاتبني على عدم زيارتي له في الفترة التي مضت قال لي : «بيني وبينك علاقتان : علاقة الدرس وعلاقة الصداقة ، وهاتان العلاقتان لا تلازم بينهما ، فربّ درس من غير صداقة ، وربّ صداقة مِن غير درس ، وعليه فلا يوجب انقطاع علاقة الدرس انقطاع علاقة الصداقة » ، وهنا رأيت نفسي صغيراً جداً أمام سموّ نفسه وتألق روحه .

السمة الثالثة : الإنصاف ، فما كان يسلب أحداً ما يتوفر عليه من الصفات والسمات حتى وإن اختلف معه ، وأتذكر بهذا الصدد أنني أعطيته ذات مرة أحد مكتوباتي ليقوّمها ويلاحظها ، وقد عرضتُ فيها رأي أحد العلماء ، وكنتُ أعلم بأنَّ السيد الأستاذ دام ظله يختلف معه في بعض وجهات النظر ، فلمَّا سلّمني الكتابة وذكر لي ملاحظاته عليها لم يذكر شيئاً فيما يرتبط بعرض رأي ذلك العالم ، ولكنَّني لما هممت بالانصراف قلتُ له : سيدنا هل تجدون غضاضة في عرضي لرأي العالم المذكور ؟ فأجابني فوراً قائلاً : " إنَّ العالم المذكور له جهتان : جهة سياسية ، وجهة علمية ، واختلافي معه إنما هو في الجهة الأولى ، وأما من الجهة الثانية فإنه عالم كبير ،

ومثله حريٌّ أن تُعرض آراؤه العلمية " .

وقرأتُ له ذات مرة إطراءً على أحد الكتب ، ولمّا لم أكن قوّي القناعة بذلك الكتاب سألته عن وجه إطرائه ؟ فأجابني : " إنّك لو تمعنتَ في إجابتي لوجدتني لم أمدح محتوى الكتاب نفسه ، وإنما مدحتُ الجهد المبذول في كتابته ، لقناعتي بأنَّ كتاباً كهذا لا يمكن أن يُكتب إلا مع بذل الكثير من الجهد ، وهذا المقدار يستحق الثناء والتقدير ، حتى وإن كان المحتوى عادياً "[1].

وهكذا كان هو ديدنه دام ظله ، دائماً ما يربّي على الروح الإيجابية ، والنظر إلى الجانب الممتلئ من الكأس ، والاهتمام بإنصاف الآخرين وعدم الإجحاف بهم .

السمة الرابعة : الحياء ، فقد رأيته في العديد من الموارد يتحرج عن تكليف غيره بما يشق عليه ، حتى ولو كان هذا الغير مديناً لسماحته بالفضل ، وأتذكر من ذلك أنه تحدث معي ذات يوم حول قيام أحد حضور بحثه الشريف بتقرير دروسه العالية ، فقلت له : إني أعتقد أنَّ تقرير دروسكم من أولها إلى آخرها عمل كبير ، ولا أظن أنَّ الشخص المُشار إليه يتمكن من القيام بذلك وحده ؛ لأنه جديد العهد بالحضور . فقال : فماذا ترى إذن ؟ قلت : أرى تشكيل لجنة من طلبتكم المتميزين ، وكل واحد منهم يقوم بجزء العمل ، وبذلك تسهل المهمة . فقال : إنّني أخجل أن أكلّفهم بذلك " .

---

(١) (١) لسيدنا الأستاذ (أعلى الله درجاته) إطراءات وتقييمات للعشرات من الكتب ، كما يشهد بذلك كتابه (أجوبة المسائل) وإرشيف موقعه الالكتروني ، فلا مجال للتخرّص والرجم بالغيب ودعوى أنني أقصد كتاباً بعينه ، وكلُّ مَن يدعي ذلك فقد أوكلتُ أمره إلى الله تعالى .

السمة الخامسة : عدم الاعتداد بالنفس بين يدي الله تعالى ،

فحين تشرفتُ قبل أشهر بالسلام عليه والتبريك له بمناسبة عيد الغدير الأغر ، كان ذلك بعد الوعكة الصحيّة التي ألمّت به ، ولم أكن رأيته بعدها إلا في هذه المناسبة، فقلت له : إنَّ ألسنة المؤمنين لم تنقطع عن الدعاء لكم بالصحة والعافية والشفاء والسلامة وطول العمر ، سيما زُوَّار عرفة وحُجَّاج بيت الله الحرام ، فإنهم في تلك البقاع المشرفة لم ينقطعوا عن الدعاء لكم والسؤال عنكم . فقالَ لي : " إنني على يقين بأنَّ ما أنا فيه من التحسّن ما هو إلا أثر أدعيتهم لي في ظهر الغيب " .

وهكذا هم العظماء لا يرون لأنفسهم شأناً بين يدي الله تعالى ، فحتى النعم الإلهية التي تُفاض عليهم – كالصحة والعافية – لا يرون أنفسهم مستحقين لشيء منها ، وإنما يرون أنَّ الله تعالى قد تفضل بها عليهم لأسبابٍ لا تعود إليهم ، كأدعية المؤمنين لهم في ظهر الغيب .

المَعْلَمُ السابع : العلاقة مع اللّه تعالى .

حين تجمعك مع السيد الأستاذ دام ظله جلسةٌ من الجلسات ، تراه ذلك البشوش الودود الذي لا تكاد تغيب الابتسامة عن قسمات وجهه ، ولا يكاد حديثه يخلو عن الطرفة والنكتة ، وأنت بهذا لا ترى إلا الجانب الظاهري من شخصيته ، ولكن هنالك ثمة جانب باطني لا تقودك لمعرفته إلا الصدفة ، أو تتحراه ممن يعيشون معه داخل بيته ، وسوف أسلّط الضوء على بعض ذلك :

١ – المحافظة على أداء الصلاة في أول الوقت .

فطالما اتفق أن أكون بخدمته قبيل المغرب ، وقد كان من لطيف أدبه أن أوعزَ إلى الشخص المسؤول عن خدمته أن يأتيه قبيل وقت الصلاة بعشر دقائق ليخبره بقرب دخول الوقت ، حتى إذا كان هنالك معه أحدُ الضيوف ينصرف عنه من غير أدنى إحراج، وحينها يتّجه دام ظله فوراً إلى مصلاه.

وقد جرت سيرته على ذلك حتى في حال مرضه ، فحينما راموا إدخاله – في مرضه الأخير – إلى غرفة العناية المركزة ، وقد كان صوت الأذان قد تناهى إلى مسامعه ، رفض أن يتحرك من مكانه حتى يؤدي صلاته إلى ربه ، رغم خطورة وضعه وشدة ألمه، وفي ذلك درس عظيم .

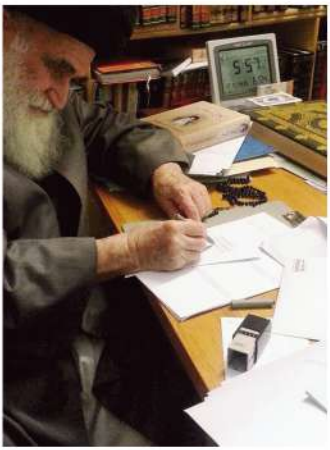

وإن أنسى فلا أنسى فرحته الغامرة حين أُهديت له ساعة الأذان المعروفة بـ (ساعة الفجر) ، فقد وضعها على طاولته التي كان يطالع ويكتب عليها ، ضمن غرفته التي كانت مكتبته ومجلسه ومحل عبادته ، وقد أبدى سعادته الفائقة جداً بها ، وإعجابه بتقنيتها في ضبط مواقيت الصلاة .

٢ – البكاء عند الوقوف بين يدي الله تعالى .

وهذا ما سمعته منه – ذات مرة – بأُذني ، حين كنتُ جالساً بخدمته قبيل المغرب ، ولمَّا اقترب وقت الصلاة وودعته بدا لي – طالما لم يبقَ شيء على دخول وقت صلاة المغرب – أن أبقى في الحسينية – الملاصقة لمجلسه – لأصلّي ، ثم أنصرف إلى المنزل ، فلما أذّن المؤذن وقفت لأصلي بالقرب من الباب الفاصل بين الحسينية والغرفة التي يتواجد فيها سماحته ، حينها سمعت صوت نشيج ينخفض ويرتفع إلى حدّ الإجهاش بالبكاء ، فلما أصغيتُ ميّزتُ أنه صوت السيد الأستاذ دام ظله ، وقد كان يصدر منه وهو يقرأ أدعية افتتاح الصلاة .

٣ – المحافظة على السنن .

كان من عادتي حينما أريد أن أزور سماحته أن أقصده عصراً ، وقد اتفق ذات مرة أن وصلت إلى بيته وإذا بالسيارة تنتظره عند الباب ، وهو يهمُّ بالخروج منه ، فلما رأيته أقبلتُ للسلام عليه وتقبيل يده الشريفة فدعاني إلى مرافقته ، وما كان مني إلا أن استجبت لشرف دعوته لي ، فصعدتُ معه وأجلسني بجانبه في المقعد الخلفي وأنا لا أدري إلى أين سنذهب ؟ إلى أن توقفت السيارة عند المقبرة المعروفة بـ (گلزار شهداء) ، فنزل منها ونزلت معه ودخل المقبرة وأنا أسير خلفه قريباً منه ، إلى أن وصل عند حجرة خاصة فدخلها ، وإذا بها الحجرة المخصصة لدفن الأموات من أسرته ، ومن جملتهم والدته المكرمة ، فقرأ لأرواحهم بعض السور القرآنية ، ثمّ قفلَ راجعاً إلى بيته .

وما كنتُ لأعلم بمحافظته على مثل هذه السنن إلا بمحض الصدفة ، ولولاها لبقيت ضمن الجانب الخفي من سيرته المباركة.

٤ – المراقبة والاحتياط .

دخلتُ عليه ذات يوم فوجدته منقبضاً ، وبعد أن استقر بي المجلس بدأ يفصح لي عن ألمٍ يعتصر بداخله ، فقال : جاءني جماعة لديهم حقوق شرعية ضخمة جداً ، ولكنهم أرادوا أن يساوموني عليها ، حيث قال أحدهم : لدينا من الحق الشرعي ما

يعادل كذا ، فكم تقتطع منه وتهبنا إياه إذا سلمناه إليك ؟! يقول دام ظله: فقلتُ لهم : لا يسوغ لي أن أقتطع لكم منه ولا تومانا واحداً . فقال ذلك الرجل : ولكنّ فلاناً – وصرّح باسم شخصٍ مُتَمَرْجِع – يصنع ذلك بعنوان الاستنقاذ ؛ إذ أنه لو لم يقبل بالبعض لامتنعَ مَن عليه الحق عن دفع الكّل .

يقول : فقلتُ له : إنّ وظيفةَ مَن عليه الحق أن يدفع كامل الحق الشرعي ، وإن لم يدفعه – بعضه أو كلّه – فهو المأثوم ، وأما حديث الاستنقاذ فما هو إلا حيلة غير شرعية لأجل وضع اليد على المال ، ولا تبرأ معه ذمّة المكلف .

لقد كان دام ظله يحكي هذه الحادثة ، وهو يتألم لما آلَ إليه حال بعض الأشخاص من الالتفاف على الأحكام الشرعية ، بهدف تحقيق مآربهم الدنيئة .

وتحت هذا العنوان لا زلتُ أتذكر أنّ أحدهم قد وسّطني لطلب وكالة من سيدي الأستاذ (دام مجده) ، فوافقَ الأستاذ على ذلك، وطلب مني أن أقصده في وقت معين ليسلّمني الوكالة ، فلما وصلتُ بخدمته قال لي : لقد كتبتُ الوكالة وبقيت الألقاب التي ينبغي أن ألقّب الوكيل بها ، فما هو اللقب المناسب ؟ فأشرتُ على سماحتهِ بلقبٍ معيّن، فقال : لا يبدو كونه مستحقاً له . فقلتُ له : إنني أشرتُ باللقب المذكور بلحاظ ما هو المتعارف في بلد الوكيل . فقال لي بلهجةٍ تفوح منها رائحة التخويف :

" إن كان الأمـر كمـا تقـول ، فإننـي سـأكتب لـه اللقـب المذكـور ، ولكنّ ذلك يكون في عهدتك بين يدي اللّه تعالى " .

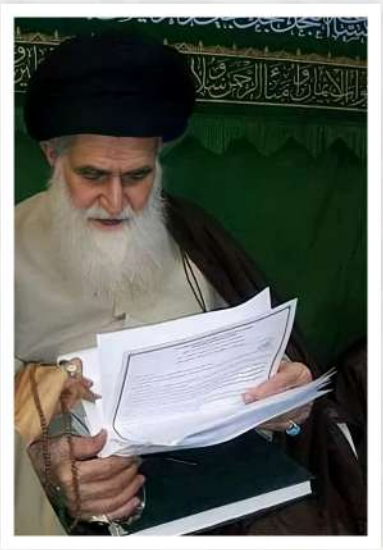

ولأتـرك التعليـق هـا هنـا للقـارئ الكريـم ، فللتأمـل فـي هـذه الحادثـة آفـاق واسـعة ، سـيما فـي زماننـا البائـس الـذي أصبحـت فيـه الألقـاب – المؤشـرة علـى المقامـات العلميـة – رخيصـة ومبتذلـة غايـة الابتذال ، وحقّ للشاعر أبي الحسن المؤدِّب الفالي أن يردِّد قوله:

تصـدّر للتدريـس كلّ مهـوسٍ ... بليـدٍ تسـمّى بالفقيـه المـدرسِ
فحـقّ لأهـل العلـم أن يتمثلـوا ... ببيـتٍ قديـمٍ شـاع فـي كل مجلسِ
لقـد هزُلـت حتـى بـدا مـن هُزالها ... كُلاهـا وحتـى سـامها كل مفلـسِ

المَعْلَمُ الثامن : العلاقة مع المعصومين عليهم السلام .

كلّ شخصٍ – لسرٍّ أو لآخر – تجد حضوراً جلياً لبعض المعصومين عليهم السلام في حياته ، وقد لمستُ حضوراً واضحاً لثلاثةٍ من المعصومين عليهم السلام في حياة السيد الأستاذ (دام ظله الشريف) ، وهم : جدته الصديقة الطاهرة المظلومة ، وجده سيد الشهداء الحسين (عليهما أزكى السلام والتحية) ، وإمام العصر وصحاب الزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الشريف الفداء) .

فهو في كلّ سنة يقيم مجالس العزاء على مدى عشرين يوماً – بعد نهاية درسه الشريف من كلّ يوم – حزناً على جدته الطاهرة عليها السلام ، بدءاً باليوم الثالث عشر من شهر جمادى الأول وانتهاءً باليوم الثالث من شهر جمادى الثاني[1] ، ويتشح طوال هذه المدة باللباس الأسود ، كما يأمر أن تُكسى حسينيته المباركة بالسواد.

ووجدته كلما سُئلَ عن بوّابة قضاء الحوائج كان يشير في كثيرٍ من الأحيان بصلاة الاستغاثة بالصديقة الزهراء عليها السلام ، أو بقراءة ذكر (اللهمّ صلِّ على فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها ، والسر المستودع فيها ، بعدد ما أحاط به علمك) خمسمائة وثلاثين مرة في مجلس واحد .

وبلغ عشقه لجدته الطاهرة عليها السلام حدّاً صار لا يترنم فيه إلا باسمها المبارك ، فحين داهمته العلل في الآونة الأخيرة ، كان كلما اشتد به الألم يردد عبارة (يا فاطمة أو يا زهراء) ،

(١) وقد سمعتُ منه دام ظله أنّه يرجّح القول بشهادتها عليها السلام في اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى على بقية التواريخ .

ولست أدري هل هو بترديده لاسمها المبارك يستغيث بها ؟ أم أنه يتذكر شديد آلامها لتهون عليه شدائد آلامه ؟ وهذا هو ما كانت عليه سيرة الإمام محمد الباقر عليه السلام ، فإنه إذا وعك بالحمّى كان ينادي حتى يُسمع صوته على باب الدار : يا فاطمة بنت محمد[1].

وأما علاقته بجده سيد الشهداء الحسين عليه السلام فهي الأخرى علاقة فوق كلّ العلاقات ، ويشهد لذلك التزامه اليومي على مدى عشرات السنوات بقراءة زيارة عاشوراء مع تكرار كلٍّ من الفصلين الأخيرين المشتملين على السلام واللعن مائة مرة ، ولم يترك قراءتها حتى في الأيام الأخيرة التي داهمه فيها المرض ، بل سمعت من سبطه أنّ سماحة السيد الأستاذ دام ظله – رغم شدة الألم – ما كان ليرضى أن يترك السجود الذي يعقب فصل اللعن ، فكان يسجد بكلّ آلامه ليخاطب ربه قائلاً : (اللّهُمّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشّاكِرِينَ لَكَ عَلى مُصابِهِمْ ، الحَمْدُ للّهِ عَلى عَظِيمِ رَزِيّتِي ، اللّهُمّ ارْزُقْنِي شَفاعَةَ الحُسَيْنِ يَوْمَ الوُرُودِ ، وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الحُسَيْنِ الّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الحُسَيْنِ عليه السلام) .

ولشدة علاقته بزيارة عاشوراء ، وما لمسه من آثارها وبركاتها، فقد وجدته كثيراً ما كان يرشد السائلين إلى قراءة زيارة عاشوراء كاملةً أربعين صباحاً ، ويوصيهم بإهداء عظيم ثوابها للسيدة زينب الكبرى عليها السلام[2].

---

(١) الكافي : ٨ / ١٠٩ .

(٢) قال دام ظله في الجزء الأول من كتاب (أجوبة المسائل) الصفحة ٣١٧ متحدثاً عن زيارة عاشوراء : (نعم صحيحة سنداً ومتناً ، ولست أحتمل تضعيف هذه الزيارة المعتبرة من عالم محقق ، وإني – بحمد الله تعالى – ملتزم بقرائتها كل يوم منذ خمسين سنة ، وأسأل الله تعالى أن يديم توفيقي لذلك إلى آخر أيام عمري).

وكان يعتقد اعتقاداً جازماً -كما سمعتُ منه- بأنَّ بوَّابة سيد الشهداء الحسين عليه السلام هي أكبر بوابة للنجاة والفوز يوم القيامة ، بل كان يرى أنَّ إحياء الشعائر الحسينية أفضل من كلّ الأعمال المستحبة[1].

وأتذكر ذات مرة أنه طلب مني الإجابة عن مجموعةٍ من الأسئلة الموجهة إليه ، ونحن على مشارف شهر عاشوراء ، فتحيرت حينها ماذا أصنع ؟ إذ أنني من ناحيةٍ مضغوط لأقصى درجة بالإعداد لمجالس عاشوراء ، ومن ناحيةٍ أخرى يعزُّ عليَّ جداً الاعتذار عن تلبية طلب الأستاذ ، ولكنني بعد التأمُّل رأيتُ أنَّ الأوفق بالأدب أن أعرض وضعي بخدمته ليحدد لي وظيفتي ، فلما أخبرته بما أنا فيه قال لي : " إنَّ ما طلبته منك لا يعدو كونه أمراً مستحباً ، ولكن ما أنت مشغولٌ به أمرٌ واجب ، ولا يجوز لك أن تترك الاشتغال بالواجب وتشتغل بالمستحب ".

وأما علاقته بإمام العصر ومولى الزمان (أرواحنا فداه) : فقد لمستُ منه اهتماماً واضحاً بالأحداث العالمية وأسماء الشخصيات ذات العلاقة بعلامات الظهور المهدوي المقدّس ، اهتمامَ المنتظر المترقب ، حتى أنه ذات مرة سألني عن أحد الكتب التي اهتمّت بهذا الموضوع ، وكان يريد أن يتثبت من معلومة من المعلومات التي وردت فيه ، فما كان مني إلا أن بحثتُ عن الكتاب ووثقتُ له المعلومة ، فسُرَّ بذلك وقرّت عيناه .

(١) أجوبة المسائل : ٢ / ٤٦ .

وكان حريصاً في كلِّ ليلةِ أحد من كلِّ أسبوعٍ على زيارة المسجد المبارك المعروف بمسجد جمكران ، وزيارة إمام العصر والزمان (أرواحُ مَن سِواهُ فِداه) والتوسل والاستشفاع به ، وكان يقرن ذلك بزيارته لحرم السيدة الكريمة معصومة آل محمد (عليها وعليهم السلام) .

كما كان في كل سنةٍ في ذكرى يوم ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يعقد في حسينيته احتفالاً كبيراً بالمناسبة ، ويأتيه المؤمنون زرافات زرافات يهنئونه ويباركون له ، وكان يوزّع عليهم قطعاً معدنية قد نُقِشَ عليها رمزٌ لإمام الزمان عليه السلام، وكان يعتقد – كما سمعتُ منه – بأنها ببركة الإمام عليه السلام منشأ للبركة ، وقد حدثني ذات مرة ببعض ما تناهى إليه من آثارها وبركتها[1].

(١) لمّا رأيته دام ظله حريصاً على توزيعها في عدّة سنوات ، أخذني الفضول وسألته عن سرّ التزامه بتوزيعها بخصوصها ، فذكر ما ذكرته أعلاه ، ثمَّ نقل قضية لا يخلو نقلها عن فائدةٍ إيمانية، قال : لقد قصد مجلسي في مناسبة النصف من شعبان جماعةٌ من تبريز أو إصفهان – والترديد مني– فنالهم من هذه القطع المعدنية نصيب ، وحين رجعوا إلى بلدهم أهدى أحدهم زوجته تلك القطعة المعدنية ، ففرحت بها وأخذتها معها إلى مجلس نسائي ، وأطلعت صديقاتها عليها وكانت تقول : إنها من أحد مراجع الدين في قم المقدّسة ، وكم أنا سعيدة بالظفر بها ، فلمّا رأتها إحدى الحاضرات أصرَّت إصراراً بالغاً على أخذها منها – ولعلّها أجهشت بالبكاء – وحين استفسرت منها عن سبب إصرارها أجابتها بأنها تشتكي من مرضٍ معيّن ، وقد توسلّت بإمام الزمان (أرواحنا فداه) ، فرأت في الرؤيا أنَّ علاجها في التبرّك بمثل تلك القطعة المعدنية ، فأعطتها إياها وكان شفاؤها فيها.

المَعْلَمُ التاسع : الأستاذ المربّي .

أن يحظى طالبُ العلم بأستاذٍ قدير ، فهي نعمة مستوجبة للشكر ، وأما أن يكون الأستاذ مربيّاً للطالب ، فهذه نعمة يتعذر شكرها ، وهذه إحدى المزايا والسمات الرائعة التي يتمتع بها سماحة السيد الأستاذ (دامت بركاته) .

ولأدلّل عليها فلأذكر بعض ما يرتبط بها :

أ – الاهتمام بالنشاط العلمي للتلاميذ .

فطالما رأيته حاثّاً لطلبته – الذين يعتقد بكفاءتهم – على التدريس وإفادة الطلاب وتربيتهم ، بل رأيته إذا قدّم له أحدهم بحثاً علمياً يهشُّ لذلك ويطير فرحاً ، وكأنَّ البحث يعود له ، ويخصص جزءاً من وقته الشريف – رغم كثرة مشاغله – لمطالعة ذلك البحث ، وإذا نال البحث المُقدّم إليه إعجابه لم يكن يتحرج عن تمجيده حتى أمام الآخرين .

ب – سعة الصدر لتقبّل النقد والإشكال .

وهذا مما يشهد به كلُّ مَن حضر أبحاثه الشريفة ، فإنَّ له نفساً طويلاً في الاستماع لإشكالات طلبته ، حتى وإن طال الأخذ والرد ، إلا إذا استشعر أنَّ غرض الطالب هو الجدل والمماراة ، فحينئذ يحول بينه وبين تضييع وقت بقيّة الطُلّاب .

ولي معه فيما يرتبط بهذه الجزئية كثير من الذكريات ، منها: أتذكر أنَّني في بعض الفترات التي كانت تجبرني الظروف على التأخر في القطيف، كنتُ أتابع أبحاثه الشريفة من خلال تسجيلات الدروس التي كان يتفضل بعض الزملاء بإرسالها إليَّ يومياً ، فإذا ما خطرت بذهني القاصر ملاحظة كنتُ لا أتردد في إرسالها له عبر إيميل موقعه الالكتروني ، وكان في المقابل لا يتأخر عن الإجابة عنها ، بل إذا وجد شيئاً منها يستحق الذكر كان يذكره في بحثه الشريف ويتفضل بالإجابة عنه .

وهكذا وجدته حينما كنتُ أزاحمه ببعض كتاباتي الحوزوية ، حيث كنت في الغالب أضمّنها آراءه الشريفة مذيلة بتأملاتي الباهتة فيها ، حتى قال لي ذات مرة والبسمة تغمر وجهه الشريف : (كأنك مصمم على محاربتي ؟!) ، فلما اعتذرتُ منه لسوء أدبي معه، مسح على روحي بكلماته الطيبة ، وحثني على المضّي والاستمرار .

ج – الدعم المادي والمعنوي .

فهو المشجّع دوماً لطلبته وحضور بحثه ، إما بإهدائهم بعض الهدايا الرمزية ، وتفقّد أحوالهم ، ومتابعة شؤونهم إذا اعتلَّ أحدهم وأُصيب بإحدى المشاكل الصحية ، وإما بتشجيعهم تشجيعاً معنوياً يحفّز هممهم ويضاعف معنوياتهم ، فهنالك مِن طلبته مَن كان يشركه في الإجابة عن الاستفتاءات والأسئلة الموجهة إليه ، وهناك مِن طلبته مَن كان يوكل إليه مراجعة

الأبحاث والرسائل العلمية التي كانت تُعرض على سماحته ، ويعنى بتقييمه وملاحظاته ، وهناك مِن طلبته مَن كان يأمره بالتدريس في مكان درسه ، وكلُّ ذلك يحكي مدى اهتمامه بطلبته وعنايته الفائقة بهم .

د – النصح والتوجيه والإرشاد .

فإنَّ كلَّ أستاذ – سيما إذا كان بحجم السيد الأستاذ دام ظله – تكون له تجارب كثيرة ومهمة ، منها تجارب حياتية ومنها تجارب علمية ومنها غير ذلك ، ولكن ليس من الضرورة أن ينقلها لتلامذته ، مع أنها تختصر على الطالب الكثير من المسافات ، وتقيه الكثير من العثرات والإخفاقات .

وقد وجدتُ سيدي الأستاذ (دامت بركاته) سخيّاً بنقل تجاربه لتلامذته ، فمتى ما وجدَ الطالب مستعداً لتلقي التوجيه كان يتفضل عليه بإسداء النصح والإرشاد ، ويستفيد كثيراً من نقل تجاربه وتجارب غيره من العلماء ، ليوقظ الطالب من غفلةٍ تعتريه ، أو يرشده إلى ما ينبغي أن يكون عليه .

٥ – إبراز مكانة التلميذ والإشادة به .

فقد أراني ذات مرة إجابته عن سؤال وُجِّهَ إليه حول بعض تلامذته ، ثم رأيتُ له عدّة إجابات أخرى حول العديد من طلابه، مشيداً بهم ومادحاً لهم ، بل طالما رأيته ابتداءً من نفسه – بمناسبةٍ أو بأخرى – يشيد ببعض تلامذته ويثني عليهم ، سواء أمام زملائهم أم غيرهم ، مع أنه ليس بحاجةٍ إلى ذلك ، ولكنه عمل تربوي يهدف من خلاله لتعميق ثقة الطالب بقدراته العلمية ، وتشجيع غيره من الطلبة لاقتفاء أثره .

وعند هذا المعلم أضعُ القلم جانباً ، راجياً أن أكون ممن أدّى للأستاذ بعض حقوقه، وأسأل الله تعالى أن يديم ظلال سماحة السيد الأستاذ المعظم ، وينفعنا ببركات وجوده زمناً طويلاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

ضياء الخباز
٢٠ / ٥ / ١٤٣٦ هـ

مكانة موسوعة (فقه الصادق) في الفقه الإمامي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين ، وصلى اللّهِ على أشرفِ بريتهِ وخيرِ خلقهِ محمدٍ وآلهِ الطاهرين، واللعنةُ الدائمةُ على أعدائهم أجمعين أبدَ الآبدين .

عندما يحاول الباحثُ تقييمَ التراث الفقهي الإسلامي ، يكاد يلمس بوضوح ما يتميزُ به التراث الفقهي الإمامي على غيرهِ من التراث الفقهي مِن سماتٍ مَعْلَمية شامخة ، وبما أنني هنا لستُ بصدد البحث حول هذه الجهة ؛ لذلك أكتفي بالإشارة إلى السمة البارزة وهي سمة العمق والدقة ، وقد جاءت هذه السمة كنتيجة طبيعيةٍ لفتح باب الاجتهاد عند الشيعة الإمامية ، مما أوجبَ تقدّماً ملحوظاً على مستوى صناعة الاستدلال الفقهي ، والذي نتجَ عن إحكام الآليات والمبادئ الأصولية والرجالية والحديثية التي يعتمدها الفقه الإمامي .

وقد طوى الفقهُ الإمامي مراحلَ متقدمة جداً من العمق والدقة، بالمستوى الذي لو قارنَ فيه الباحث بين التراث الفقهي الإمامي في صورته الفعلية وغيره لوجدَ أنَّ الفاصلة بين الفقهين في غاية البعد والامتداد ، بحيث أنَّ المتمكن من الفقه الإمامي لا يجد أيَّ صعوبة في التعامل مع الفقه الآخر ولو كان في أعلى وأعمق مستوياته

(١) طُبعت تقديماً للطبعة الخامسة الصادرة عن (آيين دانش) بقم المقدسة ، سنة ١٤٣٥ هـ ، وقد أجريتْ عليها بعض التعديلات المهمّة .

بينما العكس صعبٌ مستصعب ، فمن كانَ متمكناً من الفقه غير الإمامي لا يتسنى له التعامل مع الفقه الإمامي الاستدلالي في مرحلته الأخيرة ، المعتمد على إعمال الصناعة الأصولية ، سيما ما جلَّ ودقَّ من أبحاثها السامقة ، كمباحث الضد واجتماع الأمر والنهي والأصول العملية وتعارض الأدلة .

وممّا تميّزَ به الفقهُ الإمامي : استمرارُ العمل الموسوعي عبرَ قرون عديدة ، بحيث لا تكاد تمرُّ بقرنٍ من القرون – التي أعقبت الغيبة الصغرى – إلا وتعثرُ فيه على عملٍ فقهي موسوعي لبعض أعلام الطائفة (أعلى الله كلمتهم) ، مما ساهمَ كثيراً في إثراء الفقه الإمامي ، وتقدم مستواه الاستدلالي .

وهذا ما يلفت أنظارنا إلى ضرورة استمرار العمل الموسوعي، سيما بما يتناسب مع حاجات العصر ومتطلبات المرحلة ؛ إذ لدينا كمٌ هائل من الشؤون الفقهية التي تحتاج إلى معالجات استدلالية موسوعية ، نظير المسائل المستحدثة ، وفقه الدولة ، وفقه الأسرة ، وفقه الاقتصاد ، وفقه الشعائر ، ونحو ذلك ، ولو انبرت أقلام أعلام الفقه لمعالجة هذه الجوانب معالجة استدلالية موسوعية لسدَّ ذلك فراغاً لا زالَ ينتظر مَن يملؤه ، وأعتقد أنَّ هذه هي المرحلة الجديدة التي تنتظر الفقه الإمامي في مسيرة تكامله .

ومما يجدر ذكره أنَّ رصد الأعمال الفقهية الموسوعية للإمامية – لكثرتها – ليس بالأمر البسيط ، غيرَ أنَّ بعض هذه الأعمال قد بلغَ من الشهرة والذيوع حدَّاً فرضَ فيه نفسه على كلِّ محاولات الرصد والتوثيق التاريخي ، بحيث يمتنع تجاوزه على الراصد الموضوعي ، وفي طليعة هذه الأعمال الموسوعية في مرحلتنا الزمنية المعاصرة تأتي : موسوعة (فقه الصادق) ، لسيدنا الأستاذ الأكبر ، سماحة آية اللّه العظمى ، الفقيه المحقق ، والأصولي المدقق ، سماحة آية اللّه العظمى ، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (دامت بركات وجوده) .

وأولُّ مَن رصدها هو البحَّاثة البارع ، العلامة المتتبع ، الحجّة الشيخ آغا بزرك الطهراني (طابَ ثراه) في الجزء الثالث عشر من موسوعته الشهيرة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) المؤرخ بسنة ١٣٧٨ ه ، حيث قال ما هذا نصه : " (شرح التبصرة) للسيد صادق بن الميرزا محمود بن صادق الروحاني القمي المعاصر ، اسمه (فقه الصادق) وقد طبع منه ثلاثة أجزاء، كما يأتي "[1].

واحتلّت هذه الموسوعة مكانةً مرموقة عند عمالقة الفقه وأعلام الحوزة ، كالسيد البروجردي والسيد الخوئي (أعلى اللّه مقامهما) ، وكفى بثناء هذين العلمين عن كلّ ثناء ، وبإطرائهما عن كلِّ إطراء .

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ١٣ / ١٣٥ .

ويطيب لي ها هنا – تأكيداً لهذه الحقيقة – أن أذكر أمرين :

١ – الأمر الأوّل : كلمات الأعلام الذين أطروا الموسوعة وأثنوا عليها.

وسأكتفي بذكر كلمات ستةٍ من الأعلام :

الأوّل : السيّد الخوئي قدس سره .

وللمحقق الخوئي قدس سره فيما يرتبط بهذه الموسوعة الشريفة كلماتٌ عديدة جديرة بالتوثيق .

١. قال قدس سره : (فيما يتعلق بفقه الصادق فقد راجعتُ مواردَ متعددة منه ، وسررتُ وأنستُ كثيراً ، آملُ – إن شاء الله تعالى – أن يهيء الأسباب وتتم طباعة الباقي. وقد أخذتُ نسخة منه وأعطيتها للشيخ كاشف الغطاء . آمل أن توفّق دائماً للخدمات الدينية) .

٢. وقال قدس سره : (آملُ إن شاء الله أن يخرج المجلَّدُ الأوَّل من فقه الصادق بسرعة من الطباعة ونحصل عليه) .

---

(١) رسائل أربعين سنة : ٨٥ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٦ شعبان المعظّم ١٣٧٣ هـ ، أي : أنَّ عمر السيد الأستاذ حينها كان ثمانية وعشرين سنة .

(٢) رسائل أربعين سنة : ٩٦ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٢ ربيع الأوّل ١٣٧٤ هـ ، وبظني أنَّ موضوع هذه الرسالة هو المجلد الثاني ، لا الأوّل ، فإنه مقتضى التناسق التاريخي بين الرسائل السابقة واللاحقة .

٣. وقال قدس سره: (بالنسبة لكتاب فقه الصادق الجزء الثاني ، كنتَ قد سألتَ عن رأيي فيه ، فهو كالجزء الأول ، وجيدٌ جداً ، آمل إن شاء الله أن تتهيأ أسباب طباعة الباقي أيضاً بأحسن الوجوه).[١]

٤. وقال قدس سره عن الطبعة الثانية : (وصلتني نسخة من المجلَّد الأوَّل من فقه الصادق التي أرسلتَها بواسطة جناب حجّة الإسلام الشيخ الحاج ميرزا أحمد الأنصاري "دامت تأييداته" وكانت سبب سعادة وشكر لا يوصف ، خاصة وأنَّه صدر في هذه الفرصة مثل هذا الأثر القيّم عن حضرتكم ، وقد طالعت مقداراً منه ، وآمل أن توفق في طباعة بقيّة الأجزاء ، ومن البديهي أنَّك سترسل لنا نسخة) .[٢]

الثاني : السيّد محمد هادي الميلاني قدس سره[٣].

قال في رسالته التي بعث بها للسيّد الأستاذ دام ظله : (لقد وصلني الجزء الثامن من الكتاب الذي تفضلتم بإرساله ، وإنّي أقدّر لكم ذلك وأشكركم عليه ، ومن البديهي أن تكونوا أنتم من الشاكرين لله تعالى على عنايته بكم وتوفيقكم لهذا التصنيف المرتّب ، ودمتم ودامت العنايات الربوبية تحفّكم ، والمأمول – إن شاء الله تعالى - أن تُطبع بقيّة المجلدّات ، التي ذكرتم إنها تصل إلى العشرين)[٤].

---

(١) رسائل أربعين سنة : ١٠٣ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٥ شوال المكرّم ١٣٧٤ هـ .
(٢) رسائل أربعين سنة : ١٦١ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٤ ذو القعدة الحرام ١٣٨٩ هـ .
(٣) هو المرجع الديني الجليل ، سماحة آية الله العظمى ، السيد محمد هادي الميلاني قدس سره ، المولود سنة ١٣١٣هـ والمتوفى سنة ١٣٩٥هـ ، وكان من المراجع العظام في مشهد المقدّسة .
(٤) نامه هاى تاريخى : ٢٤٠ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٣٩١هـ .

الثالث : الميرزا مهدي الشيرازي قدس سره[1].

قال في رسالةٍ بعثها للسيد الأستاذ دام ظله: (وصلت الهدية الثمينة ، وهي جزءان من "فقه الصادق" .. وإني أشكر لكم هذه العناية ، وأقدّر كثيراً زحمات جنابكم في تأليف هذا الكتاب الشريف ، والمأمول من ساحة حضرة القادر المتعال تأييد وتسديد جنابكم لتكملوا على هذا النحو خدماتكم للشريعة المقدّسة وفقه الإمام جعفر بن محمد الصادق "صلوات الله وسلامه عليه" ، وبالأخص توفيق جنابكم لإتمام هذا الكتاب)[2].

الرابع : السيّد محمّد الروحاني قدس سره[3] .

وشهادته شهادة شفهية أنقلها عن سماحته بواسطة ولديه الأخوين العزيزين ، السيدين الجليلين ، سماحة السيّد علي ، وسماحة السيّد حسن (دام توفيقهما) ، فإنهما ينقلان عن أبيهما المعظّم قوله : " فقه الصادق نعمَ الكتاب " ، وزاد السيّد العلّي أنَّ أباه قد رجّحَ كتاب فقه الصادق على بعض الدورات الفقهية المتأخرة .

---

(١) هو المرجع الديني الجليل ، سماحة آية الله العظمى ، السيد مهدي الشيرازي قدس سره ، المولود سنة ١٣٠٤ هـ والمتوفى سنة ١٣٨٠ هـ ، وكان من المراجع العظام في كربلاء المقدّسة .

(٢) نامه هاى تاريخى : ٣٠٨ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١١ ربيع الأوّل ١٣٧٥ هـ .

(٣) هو المرجع الديني الجليل ، سماحة آية الله العظمى ، السيد محمد الروحاني قدس سره ، المولود سنة ١٣٣٨ هـ والمتوفى سنة ١٤١٨ هـ ، وكان من المراجع العظام في مرحلة ما بعد السيّد الخوئي قدس سره .

وسمعتُ من الأخ العزيز ، سماحة الشيخ ميثم الخنيزي (دام توفيقه) قال : إنَّ السيّد الروحاني (طابَ مثواه) كان يشيد بكتاب أخيه (فقه الصادق) ، ويبدي إعجابه بكتابته له وهو صغير السنّ .

وقد ذكرتُ في غير مناسبة : أنَّ شهادة المحقّق الروحاني (أعلى الله مقامه) تُعتبر من أهمَّ الشهادات ، لأنّه كان صعباً في شهادته ومتشدداً فيها .

الخامس : الشهيد السيّد محمد باقر الصدر (طابَ ثراه)[1].

قال (طابَ ثراه) في رسالةٍ لسماحة الأستاذ : (موسوعتكم الفقهية الجليلة ، التي تُعبِّر عن مقامكم العلمي الراسخ ، وقد طالعتُ بعض المواضع منها ، كمورد الاختلاف في كون المال وديعة أو رهناً ، ولاحظتُ اتفاقنا الكامل في نتائج هذه المسألة ، التي بحثتموها بحثاً علمياً جديراً بالإعجاب والتقدير من العلماء ، حفظكم الله ذخراً للإسلام ، وأدامَ وجودكم ، ونفعَ بكم)[2].

السادس : الشيخ مرتضى الحائري قدس سره[3] .

وشهادته شفهية سمعتها من سماحة الأخ العزيز ، الفاضل الجليل ، الشيخ محمد رضا الأنصاري (حفظه الله) ، نقلاً عن

---

(١) هو المرجع الديني الجليل ، الفقيه الأصولي ، المحقق العبقري ، السيد محمد باقر الصدر قدس سره ، المولود سنة ١٣٥٣ هـ والمستشهد سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) نامه هاى تاريخى : ٣١٢ ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٧ صفر ١٣٩٦ هـ .

(٣) هو سماحة آية الله المعظّم ، الفقيه الأصولي ، الشيخ مرتضى الحائري اليزدي قدس سره ، المولود سنة ١٣٣٤ هـ والمتوفى سنة ١٤٠٦ هـ ، وكان من أعلام الأساتذة المحققّين في حوزة قم المقدّسة .

سماحة السيد حسين الخميني ، نقلاً عن والده الشهيد سماحة آية الله ، السيد مصطفى الخميني (طاب ثراه) ، قال : كنّا مجتمعين في أحد المجالس بقم المقدّسة ، وكان فيه جمع من المراجع والعلماء، فدخل السيد محمد صادق الروحاني دام ظله وجلس دون صدر المجلس، فلمّا رآه الفقيه المحقق ، سماحة آية الله الشيخ مرتضى الحائري قدس سره ، قام من مكانه ودعاه للتقدّم إلى صدر المجلس ، فلمّا امتنع السيد قصده الشيخ إلى مكانه وأمسك بيده وأخذه إلى صدر المجلس ، حيث يجلس كبار العلماء ، وقال بصوتٍ عالٍ: " إنَّ مَن يكتب مثل فقه الصادق لا يليق به الجلوس إلا في صدر المجلس".

وبنفس السند أيضاً أنقل عن الشيخ الحائري (طاب ثراه) إنه كان كثير الإطراء على فقه الصادق ، وكان يقول : " يحق للحوزة المشرفة في قم أن تفاخر بتقديمها للملأ العلمي والحوزات المشرّفة كتاباً كفقه الصادق " .

وأنقلُ أيضاً عن الشيخ الأنصاري (دام توفيقه) عن سماحة آية الله ، الشيخ عبد الحسين الحائري (طاب ثراه) – سبط الشيخ المؤسس الحائري قدس سره – قال : إنَّ خالي المقدّس الشيخ مرتضى الحائري قدس سره قد جاء قاصداً إلى بيت أخيه – الدكتور الشيخ مهدي الحائري اليزدي – في طهران ، فذهبنا إلى زيارته ودار الحديث هناك حول النشاط العلمي في قم ، فقال : " بحمد الله تعالى لو سألنا أحد : هل هناك نتاج لحوزة قم يمكن الافتخار به ؟ نستطيع أن نقول : فقه الصادق " .

٢- الأمر الثاني : استعراض أسماء الأعلام الذين اهتموا بمطالب (فقه الصادق) ومناقشتها .

وممّا يكشف عن مكانة موسوعة (فقه الصادق) هو اهتمامُ جماعةٍ من الأعلام بالرجوع إليها ، والوقوف عند مطالبها ، سواء وافقوها أم خالفوها ، ولا بأس بالإشارة إلى بعضهم :

١. سماحة السيّد محمد تقي الخوئي (طاب مثواه) في كتابه (الشروط أو الالتزامات التبعية في العقود)[١] ، وقد عبَّر عنه في بعض الموارد بـ (المحقِّق الروحاني) .

٢. سماحة السيّد محمد رضا السيستاني (دام تأييده) في كتابه (بحوث في شرح مناسك الحج)[٢] ، وقد عبَّر عنه في بعض الموارد بـ (ببعض الأعلام) .

٣. الراحل الشيخ آصف محسني في كتابهِ الفقهي الشهير (حدود الشريعة)[٣] .

٤. سماحة السيّد كاظم الحائري (دام تأييده) في كلٍّ من (منهاج الصالحين)[٤]و (مباني فتاوى في الأموال العامة)[٥]و (دراسات فقهية)[٦] .

---

(١) لاحظ : الجزء ١ ، الصفحات : ٣٠ ، ٣٨ ، ٦٢ ، ٢٠٧ ، والجزء ٢ ، الصفحات : ٥٤ ، ٩٢ ، ٣٠٠ .
(٢) لاحظ : ج ٣ ص ١٦٣ ، ج ٥ ص ٢٠٣ و ٦١٢ ، ج ٦ ص ٩٠ و ٩٢ ، ج ٧ ص ٣٤٠ و ٤٤٤ ، ج ٨ ص ٢٤١ و ٦٧٣ ، ج ٩ ص ١٤١ و ٤٢٨ و ٥٧١ ، ج ١٠ ص ٦١٠ ، ج ١٩ ص ٨٤ و ١٨٣ ، ج ٢١ ص ٤٧٤ .
(٣)لاحظ : الجزء ٢ ، الصفحات : ١٦٩ ، ٤٠٥ .
(٤)لاحظ الصفحة : ٢١٣ .
(٥) لاحظ الصفحة : ١٠١ .
(٦) لاحظ الصفحة : ١٥٩ ، وقد حدثني بعضُ مَن أثق به ، نقلاً عن أحد تلامذة السيّد الحائري (حفظه الله) ، نقلاً عن أستاذه ، قال : (إنّني راجعتُ كتاب " فقه الصادق " في عدّة من المواضع فوجدته من أفضل الكتب الفقهية بعد كتاب "جواهر الكلام) .

٥. سماحة الشيخ حسين المظاهري (دام تأييده) في كتابه (فقه الولاية والحكومة الإسلامية)[١].

٦. سماحة السيّد راغب آل كمونة (طابَ ثراه) في كتابهِ (روائع الفقاهة)[٢] ، وقد عبّر عنه في مواضع عدّة بـ (الفقيه المحقق).

٧. سماحة الشيخ محمد الگرامي (دام تأييده) في (المعلقات على ملحقات العروة الوثقى)[٣].

٨. سماحة الأستاذ الشيخ علي المروجي القزويني (دام تأييده) في كتابه (منهاج الناسك) ، وقد عبَّرَ عنه في بعض الموارد بـ (ببعض المحققين) وفي بعضها الآخر بـ (بعض الأجلّة من المعاصرين)[٤]

٩. سماحة السيّد محمد باقر السيستاني (دام تأييده) في كتابيه (بحوثٌ في شرح ميراث المنهاج)[٥] و(مباني الأصول)[٦]، وقد عبّرَ عنه في بعض الموارد بـ (بعض الأعلام) .

١٠. سماحة السيّد محمد علي المروّج الجزائري (دام تأييده) في تتمتهِ لشرح والده المقدّس – سماحة آية الله ، المحقّق المدقِّق ،

---

(١) لاحظ : الجزء ٢ ، الصفحة : ٢٥٥ ، والجزء : ٣ ، الصفحة : ٢١٤ .

(٢) لاحظ : الجزء ١ ، الصفحات : ١٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٨٢ ، وكان هذا السيد الجليل (طاب ثراه) قويّ الاعتقاد في السيّد الروحاني (دام ظله الشريف) ، حتى نقل لي بعض حواريه إنه قد قرأ كتابيه (فقه الصادق) و (منهاج الفقاهة) من الجلد إلى الجلد مراراً، وكان يرى أنَّ مستوى السيّد الروحاني يفوق مستوى كتابيه .

(٣) لاحظ الصفحة : ٣٠ .

(٤) لاحظ : منهاج الناسك إلى أدلة المناسك : ١ / ٤٨٣ ، ٢ / ١٠٠ ، ٤ / ٨٤ .

(٥) لاحظ : بحوث في شرح ميراث المنهاج : الجزء الثالث ، القسم الثاني ، الصفحة : ٢٩ .

(٦) لاحظ : الجزء ٣ ، الصفحات : ٦٠٩ ، ٦١٣ .

السيّد محمد جعفر المروّج قدس سره – المسمّى بـ (هدى الطالب في شرح المكاسب)[1] ، وقد عبَّر عنه في بعض الموارد بـ (ببعض الأعلام) ، وفي بعضها الآخر بـ (بعض الأعاظم) .

١١. سماحة السيد مصطفى الداماد (دام تأييده) في كتابه (قواعد فقه)[2].

١٢. سماحة الشيخ محمد الجواهري (دام تأييده) في كتابه (الواضح في شرح العروة الوثقى)[3] .

١٣. سماحة الشيخ عبد النبي النمازي (دام تأييده) في (مصباح الشريعة في شرح تحرير الوسيلة – كتاب الصوم)[4] .

١٤. سماحة الشيخ مرتضى المقتدائي (دام تأييده) في (مفتاح الهداية في شرح تحرير الوسيلة)[5] .

كما أنَّ هذه الموسوعة قد أصبحت مرجعاً مهماً للعديد من الموسوعات الفقهية المتأخرة ، ومن أبرزها : (موسوعة الفقه الإسلامي) التي صدرت بإشراف سماحة السيد محمود الشاهرودي (طاب ثراه) ، و (موسوعة أحكام الأطفال) التي أصدرها مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام بقم المقدسة.

عوامل تألق موسوعة فقه الصادق:

والذي أعتقده : أنَّ هنالك مجموعة من العوامل قد ساهمت في تألق هذه الموسوعة ، وذيوع صيتها ، وسموِّ مكانتها ، وسوف أشيرُ إلى أهمها :

---

(١) لاحظ : الجزء ١٠ / ٣٢١ .
(٢) لاحظ : الجزء ٣ ، الصفحات : ١٣٢ ، ١٣٤ .
(٣) لاحظ الصفحة : ٣٣٧ .
(٤) لاحظ الصفحة : ١٢٢ .
(٥) لاحظ : ١ / ٢٦ .

العامل الأول : شموخ المكانة العلمية لمؤلفها (دامت بركات وجوده) .

فسماحة السيد الأستاذ الروحاني – حين شرعَ في تأليف موسوعتهِ القيّمة – كانَ رقماً بارزاً من أرقام الحوزة العلمية المباركة ، وعلماً من أعلامها الشامخين ، وأحد أبرز خريجي مدرسة المحقق الخوئي (أعلى اللّهِ في الخلد درجته) ، وقد نالَ كلَّ هذهِ الأوسمة – التي يصعب نيلها – في مقتبل عمره وربيع شبابه[1] ، مما أوجبَ أن تُلقي هذه المكانة العلمية للمؤلف بظلها على موسوعته الفقهية المباركة ، وتنال بها مكانتها التي تستحقها .

---

(١) مما يجدر ذكره : أنَّ سماحة السيد الأستاذ (دامت بركاته) كانَ على صغر سنه ممن يُشار إليهم بالبنان في حوزة النجف الأشرف ، ولم يرجع منها إلى قم المقدسة إلا عالماً فقيهاً مجتهداً ، وهو لمّا يبلغ الثلاثين من العمر ، وقد تقدم الحديث حول ذلك مفصلاً في الإطلالة ، فراجع .

ويطيب لي هنا أن أضيف بعض ما يؤكد ذلك :

١ . خاطبه العالم الفاضل ، المؤلّف البارع ، الحجّة السيّد عبد الرزّاق المقرّم (طيب الله ثراه) ، في رسالةٍ مؤرخة بعام ١٣٧٢ هـ - أي : وهو ابن سبعة وعشرين سنة – بقوله : (أشواقي الحارّة ، وتحياتي المتتابعة ، إلى سيّد العلماء المحققيّن ، ونخبة أهل الفضل ، الحجّة في التحقيق) . نامه هاى تاريخى : ٣٠٦

٢ . وخاطبه العلامة الكبير ، سماحة آية الله المعظّم ، الشيخ عبد الحسين الأميني ﷺ في رسالةٍ مؤرخة بسنة ١٣٧٨ هـ بقوله : (دمتم ذخراً للعلم والدين ، حليف التوفيق والسداد) . نامه هاى تاريخى : ٣٠١

٣ . وشكره سماحة آية الله المعظّم ، الشيخ علي محمد البروجردي – والد الشهيد السعيد ، آية الله الشيخ مرتضى البروجردي (طاب ثراهما) – على اهدائه الجزء الخامس من فقه الصادق له ، وقال : (نفع الله تعالى الإسلام والمسلمين بأقلامكم الشريفة ، كما نفع بآبائكم الكرام) . نامه هاى تاريخى: ٢٧٩ .

العامل الثاني : الشمولية .

فموسوعة (فقه الصادق) قد وفّقَ الله مؤلفها المعظم لتحقيق جميع مسائل الفقه، ابتداءً بكتاب الطهارة وانتهاءً بكتاب الديات، ولم يفتهُ من أبوابهِ إلا كتاب (الاجتهاد والتقليد) فقط، ولعلّ سماحة السيد الأستاذ قد تعمّدَ تركه ، لعدم كونهِ من أبواب الكتاب الفقهي المعروف (تبصرة المتعلمين) ، للعلامة الحلي (أعلى اللهِ تعالى درجته)، والذي اتخذه السيد الأستاذ الأعظم متناً لكتابهِ (فقه الصادق)، حيث درجَ قدماء الفقهاء على البحث عن مباحث (الاجتهاد والتقليد) ضمن مؤلفاتهم الأصولية.

ولعلّ مِن أوائل الذين أدرجوها ضمن المتون الفقهية هو شيخ الفقهاء ، الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر قدس سره في رسالته العملية (مجمع الرسائل) ، والشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره في رسالتيه العمليتين (سراج العباد) و (صراط النجاة) ، وبعدهما الفقيه الأعظم ، السيد محمد كاظم اليزدي (أعلى الله تعالى درجته) في كتابهِ الشهير (العروة الوثقى) .

وبنظري لو أُضيفَ كتاب (الاجتهاد والتقليد) – الذي كتبه العلامة المرحوم السيد هادي الروحاني (طابَ ثراه) تقريراً لأبحاث السيد الأستاذ دام ظله[1]– لأول موسوعة (فقه الصادق)، وكتاب (فروع العلم الإجمالي) – الذي كتبه العلامة المرحوم الشيخ غلام حسين الطسوجي (طابَ ثراه) تقريراً لأبحاث السيد

(١) طُبعَ في قم المقدسة سنة ١٣٧٧ هـ تحت عنوان (رسالة في الاجتهاد والتقليد) ، ثمَّ طُبِعَ مجدداً – بتحقيق هذا الفقير – تحت عنوان (فقه الاجتهاد والتقليد) سنة ١٤٣٤ هـ .

الأستاذ دام ظله [1] – لمحله من كتاب الصلاة من الموسوعة ، وكتاب (فقه المسائل المستحدثة) لآخرها ، لاكتمالَ نظامُ الموسوعة المباركة ، وكانت أكثر الموسوعات الفقهية استيعاباً لأبواب الفقه.

العامل الثالث : الاستيعاب .

فقد اشتملت الموسوعة على كثيرٍ من الفروع الفقهية ، التي لم يتعرض لها العلامة الحلي قدس سره في متن (تبصرة المتعلمين) ، فهي وإن اتخذت من التبصرة متناً ، إلا أنها استوعبت الكثير من الفروع الفقهية المهمة التي ذُكرت في غيرها من المتون الفقهية ، كالعروة الوثقى ونحوها ، في الوقت الذي خلت فيه بعض شروح العروة الوثقى عن بحثها وتنقيحها .

العامل الرابع : التتبع والاستقصاء .

فإنّ الموسوعة حافلةٌ بعرض الكثير من آراء الفقهاء (رضوان الله عليهم) الذين تقدموا على صاحب الموسوعة ، سواء المتقدمين منهم أم المعاصرين وقريبي عصرنا ، كالشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره في أبحاث العدالة والخمس والصوم والمتاجر والنكاح ، والمحقق الآخوند الخراساني قدس سره في أبحاث الدماء الثلاثة والمكاسب ، والمحقق الأيرواني قدس سره في أبحاث المكاسب ، والمحقق العراقي قدس سره في أبحاث القضاء ، والمحقق النائيني قدس سره في أبحاث الصلاة والحج والمكاسب ، والمحقق الأصفهاني قدس سره في أبحاث العدالة والإجارة

---

(١) ألقى سماحة الأستاذ الأعظم (دام ظله) أبحاث (فروع العلم الإجمالي) سنة ١٣٧٠ هـ ، كما ذكر ذلك المقرّر في بداية تقريره ، وهذا يعني أنَّ عمره المبارك آنذاك كان دون الثلاثين ، وطُبعَ تقريرها في قم المقدسة سنة ١٣٧٦ هـ ، وأعيدت طباعته سنة ١٤١٨ هـ .

والبيع والخيارات، والمحقق الهمداني والسيد الحكيم والسيد الخوئي (أعلى الله درجتهم) في أبواب متفرقة ، وقد أكثرَ النقل عن الأخير بعنوان (الأستاذ ، والسيّد الأستاذ ، والأستاذ الأكبر) وغالباً بعنوان (الأستاذ الأعظم)[1] .

وبلغَ الأمرُ بالمؤلف أن استعرضَ حتى بعض الآراء الفقهية التي لم يشتهر تداول مصادرها ، كبعض آراء أستاذه المحقّق الشيخ محمد كاظم الشيرازي قدس سره في أبحاث المكاسب ، وآراء الشيخ المؤسس الحائري قدس سره في أبحاث الصلاة والنكاح.

العامل الخامس : النَفَسُ التحقيقي .

فإنّ موسوعة (فقه الصادق) لم تقتصر على تتبع الآراء واستقصاء المهم منها ، بل أخضعت كل الآراء التي استعرضتها للمحاكمة الدقيقة ، والتحقيق العميق ، طبقاً لأقوى الأدلة وأعمق البراهين .

وقد أشار العلامة الشيخ حسن طراد العاملي (دام تأييده) إلى هذا العامل وسابقه ، فقال : (قد عرفتكم من خلال مطالعاتي المتكررة لكتابكم العلميّ الثمين- فقه الصادق- علامة نحريراً ، وبحّاثة قديراً ، ومجتهداً مطلقاً متضلعاً ، يتناول المسائل

(١) جدير بالذكر أنَّ الكثير من تقريرات أبحاث المحقق الخوئي (أعلى الله درجته) لم تكن مطبوعة حين تأليف سماحة الأستاذ لموسوعته ؛ ولذا أكثرَ من عرض آرائه في أبواب المكاسب المحرمة والحدود والديات ، مما كان مطبوعاً آنذاك ، بينما في الأبواب الأخرى لم يعرض آراءه إلا قليلاً ، ناقلاً لها تارةً عن حاشيته على العروة الوثقى ، وتارةً أخرى بالمباشرة عن مجلس درسهِ ، كما في باب الصلاة ، حيث حضره عنده وقامَ بتقريره ، وقد قرّظ السيد الخوئي تقريراته بتقريظٍ تقدّم إثباته ، فليراجع .

الفقهية بالبحث الدقيق والنظر العميق ، والإحاطة الواسعة بالأقوال الواردة فيها والروايات المتضمنة لحكمها، ثمّ يخرج بالنتيجة الاستدلالية ، ويقدّمها ثمرة فكرية يانعة ، متجاوبة مع الذوق الفقهي السليم ، والنظر العلمي المستقيم)[1] .

العامل السادس : الاهتمام بالفقه الصناعي .

ففي الوقت الذي لم تعتنِ فيه بعضُ الكتب الفقهية الأخرى بإعمال الصناعة الأصولية الدقيقة ، واهتمت فقط بالاستظهار على طبق المتفاهمات العرفية ، بل انجرفت بعض الكتابات الفقهية المعاصرة نحو ما يشبه القياس ولغة الاستحسان ، تميزت موسوعة (فقه الصادق) بالجمع بين الميزتين : ميزة إعمال الصناعة الأصولية ، وميزة التذوق العرفي الجميل للنصوص الشرعية الشريفة .

العامل السابع : مواكبة أحدث النظريات الأصولية .

فالموسوعة الشريفة قد كُتبت على طبق أحدث الأسس والنظريات الأصولية ، التي انتهى إليها الفكر الأصولي الإمامي ، وآخر التحقيقات الفقهية ، التي نقّحها وحقّقها فقهاء الإمامية ، مما يجعل القارئ لها غير منفصلٍ عن المباني والقواعد الأصولية الدقيقة التي انتهى إليها علم الأصول .

---

(١) نامه هاى تاريخى : ٤٣٨ .

العامل الثامن : سلاسة البيان .

فإنّ موسوعة (فقه الصادق) رغم ما اشتملت عليه من دقة الأبحاث والأدلة والمناقشات التفصيلية المعضلة ، إلا أنها قد كتبت بقلمٍ عربي جميل ، سلس العبارة ، واضح البيان ، مما جعلَ ما اشتملت عليه من المطالب المغلقة سهل التناول حتى لأفاضل الطلبة، فضلاً عن الأساتذة والعلماء .

وقد تحدّث عن هذه الميزة العلامة الشهيد ، سماحة آية الله السيد عبد الحسين دستغيب (طاب ثراه) ، فقال : (أبارك جداً لجنابكم توفيق الله لكم لتأليف دورة في الفقه الاستدلالي، وذلك مع قلم بليغ وسلس ، وأسأل الله قبول هذه الخدمة من حضرتكم ، وأن يجعلها مورداً لنظر صاحب الشرع الأنور)[1].

العامل التاسع : اشتمال الموسوعة على العديد من الرسائل الفقهية المستقلة .

وهي رسائل مهمة في موضوعاتها ، وقيمتها العلمية والعملية ، وأهمّ رسائله التي اشتملَ عليها رسالة (لا ضرر) ، ورسالة (التقية) ، ورسالة (اللباس المشكوك) ، ورسالة (العدالة)، ورسالة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

تنبيهٌ مهم:

وما ذكرناه – عبر سرد العوامل المذكورة – من تميّز هذه الموسوعة الشريفة لا يعني أنها فوق النقد ، ولا ملاحظة عليها ،

(١) نامه هاى تاريخى : ٣٤٦ .

فإنّ الكمال لأهل العصمة والكمال عليهم السلام ، ولا يُوجد ثمة كتاب لا ملاحظة عليه ، مهما بلغ في كماله وتمامه ، ولكننا ناظرون في مقالنا إلى الجوانب الإيجابية والمزايا المهمّة .

ومما ذكرناه ظهرت إجمالاً القيمةُ العلمية لموسوعة (فقه الصادق) ، ولكن بقيت هنا كلمة لا بدّ من تسجيلها للتاريخ ، وهي : أنّ (فقه الصادق) رغمَ ما يتمتع به من سمات العظمة والتميز إلا أنه يبقى دون المستوى العلمي الشامخ الذي عليه سيدنا الأستاذ الأعظم (دامت بركاته) ، فمقامه الثبوتي أقوى من مقامهِ الإثباتي ، كما ظهرَ لنا ذلك حين تشرفنا لسنواتٍ عديدة بحضور خارج الفقه تحت منبره الشريف في كتابي (الطهارة والإجارة) ، فإنّ الممارسة الفقهية المتواصلة قد تركت أثرها على أبحاثهِ العالية وصناعة الاستدلال فيها، إلا أنّ مما يؤسف له أنّ أحداً لم يتفرغ لتحرير أبحاثه الشريفة وتقريرها ؛ لكي يستفيد منها الملأ العلمي في الحوزات العلمية المباركة .

مميزات دروس السيد الروحاني الفقهية:

وقد تميّزت دروسه الفقهيّة الشريفة التي حضرناها قياساً إلى كتابه (فقه الصادق) بعدّة ميزاتٍ مهمة :

أ – الميزة الأولى : المطالعة الجديدة ، فإنه لم يكن يكتفي بمطالعة موسوعته الفقهية، بل كان يبحر في كتب المقدمين والمتأخرين ومتأخري المتأخرين والمعاصرين ، ويتأمل في مطالبها ، ويدقّق في نكاتها ، ومن أهمّ الكتب التي اهتمّ بها جدّاً كتاب (مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى) ،

لجامع المعقول والمنقول ، آية العلم والزهد والتقى ، الشيخ محمد تقي الآملي (طاب ثراه)[1].

ب – الميزة الثانية : الاهتمام الفائق بمطالب أستاذه المحقق الخوئي (قُدّس سرّه) ، والتركيز على مناقشتها ، وبيان مواضع النظر فيها ، وإنما أفردتها بالذكر رغم اندراجها فيما سبق ، لأنها كانت كالمحور للدرس ، فلا يدور إلا عليها .

ج – الميزة الثالثة : الاهتمام بالصناعة الرجاليّة بالمقدار اللازم بنظره الشريف ؛ إذ أنه كان يرفض إعمال الدقة العقلية – المتعارف إعمالها في المباحث الأصوليّة – في التعامل مع القواعد والمباحث الرجالية ، ويمتعض من الإغراق في إثارة الاحتمالات المتكلّفة التي تزلزل الاطمئنان .

د – الميزة الرابعة : البسط والتفصيل ، وبظني لو قُرِّرت أبحاثه في الطهارة فإنها لن تقلّ في سعتها عن كتاب (التنقيح في شرح العروة الوثقى) لأستاذهِ المحقق الخوئي (طاب مثواه)، ولذا فإنها قد استغرقت من الوقت قرابة اثني عشرة عاماً ، في حين أنّ كتاب الطهارة من فقه الصادق لم يتجاوز ثلاثة أجزاء .

ولقد صدقَ وأجاد المقرِّر الشيخ الطسوجي ، حين وصف الأستاذ بقوله : (إنّ ما يتمتع به الأستاذ الأعظم دام ظله من عمق التفكير وبداهة الخاطر ممّا يجعله لا يستقرّ على رأي ، وإنما

(١) وأتذكّر أننا لما شرعنا في مباحث (الدماء الثلاثة) كنتُ حين أتشرفُ بخدمته أُثير بين يديه أحياناً بعض أنظار السيّد الفشاركي (أعلى الله مقامه الشريف) ، فسألني عن مصدرها ، وحين أخبرته بأنَّ له رسالة خاصّة فيها طلبها مني ، واهتمَّ بها في دروسه .

يتحوّل من فكرة إلى رأي ، وينتقل من راقٍ إلى ما هو أرقى منه)[1]، فإنّ هذا ممّا ظهر جلياً في دروسه الفقهية الأخيرة ، حيث نسجَ فيها نسجاً جديداً ، وحقّقَ ودقّقَ وأتعبَ نفسه الشريفة في التربية والتعليم ، فجزاهُ اللّه تعالى عن العلم وأهله خير جزاء المحسنين.

فقه الصادق والهمة العالية:

والمَعْلَمُ الشامخُ التي تجدر الإشادة به – ونحنُ بصدد الحديث عن موسوعة (فقه الصادق) المباركة – هي : الهمة العملاقة التي أنتجت هذه الموسوعة ، فقد كتبها سماحة سيدي الأستاذ الأعظم (دامت بركاته) في مدةٍ استغرقت قرابة ثمانية وعشرين عاماً ، حيث أرّخَ دامَظِلّه فراغه من كتابة موسوعته في آخر جزء منها باليوم الثامن عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٨ هـ[2]، كما أرّخَ ابتداءه في كتابتها بسنة ١٣٧٠ هـ[3]، وهذا يعني أنّ مدة تأليف الموسوعة ثمانية وعشرون سنة .

---

(١) فروع العلم الإجمالي : ٥ .

(٢) قال في (فقه الصادق : ٢٦ / ٣٩٠) : (تمّ كتاب فقه الصادق في ليلة الأربعاء ، الثامن عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٨ ، والحمد للّهِ أوّلاً وآخراً) ، والذي أحتمله أنّه قد انتهى من تنقيح الكتاب تنقيحاً أخيراً في هذا التاريخ؛ إذ الذي يظهر من بعض كلماته أنّه قد انتهى من مسودات الكتاب قبل هذا التاريخ بما يقارب عشر سنوات ؛ حيث قال في مقدمة الطبعة الثانية المؤرخة بتاريخ شعبان المعظّم ١٣٨٩ هـ : (ولقد خوّل لنا الجلاء زهاء عامين ونصف عن بلدي – مدينة قم – فرصة مناسبة لإنهاء هذا المشروع الضخم ، وإتمام أجزائه كلّها ، بالإضافة إلى تنقيح ما ألّفنا منه في السابق ، حتى أضحى موسوعة فقهية كاملة ، تقع في عشرين مجلداً) .
ويتأكد ذلك بملاحظة قوله في آخر كتاب الشفعة : (هذا تمام الكلام فيما يتعلق بمباحث الشفعة ، وبذلك تتم المجلدات من كتابنا في الفقه ، وإنما أُخِّرَ هذا المجلد في الكتابة عن المجلدات اللاحقة له ؛ لأني كنتُ محبوساً منذ مدة طويلة ، ولم تكن كتب الحديث والفقه عندي ، وكان تحصيلها صعباً ، فكنت أكتب كلما تمكنتُ من العثور على الكتب المربوطة بذلك الباب ، ولهذا تأخّرَ هذا المجلّد عن المجلّدات الأخرى ، وقد وقع الفراغ منه في اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٨٩ من الهجرة النبوية ، في قرية ميگون – وما أدراك ما ميگون – والحمد للّه أولاً وآخراً) ، وجديرٌ بالذكر أنَّ هذا التوثيق المهم قد حذف من الطبعات الأخيرة .

(٣) قال في بداية الطبعة الثانية من (فقه الصادق) ما هذا نصّه : (فطالما كنتُ أتمنى أن أضعَ كتاباً في فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق "عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين السلام" تأدية لبعض الواجب ، وخدمة متواضعة لأبناء الوحي وخزّان العلم ، وارتأيتُ أن يكون شرحاً لكتاب "تبصرة المعلمين" لآية اللّه العلامة الحلّي "رضوان اللّه عليه" فأمدني اللّه تعالى بأسلاك هدايته وأنوار بصيرته،فبدأت بتأليفه عام ١٣٧٠ هجري) .

ولا عجبَ في هذه الهمّة العالية ، فلقد تتلمذتُ على سماحة السيد الأستاذ (دامت بركاته) وعمره الشريف يذرف على الثمانين عاماً ، ولكنني وجدتُ له من النشاط والهمة العالية والمثابرة في البحث والتتبع والتفكير ما لم أجد له نظيراً حتى عند بعض ذوي الهمم من الطلبة والفضلاء الشباب .

وليس طول الزمان وحده هو الدليل على علوِّ الهمة لدى السيد الأستاذ ، بل تحمُّله للظروف الصعبة التي اقترنت بمسيرة تأليفه للموسوعة – في ظلّ الحكومة الشاهنشاهية الجائرة – دليلٌ آخر على علوّ همته وشموخها ، وقد حفظَ (دام ظله الشريف) لنا بعض صور المعاناة التي تكبّدها في سبيل إنجاز موسوعته الشريفة ، لتكون درساً عملياً لجميع المشتغلين ، وحجةً قاطعة لجميع أعذار التواني عن البحث والاشتغال ، والتي يتذرع بها بعض أصحاب الابتلاءات الخارجة عن إرادتهم ، فضلاً عن غيرهم .

ومن تلك الصور ما تحدّث عنها في نهاية كتاب (الحج) من الموسوعة قائلاً : " هذا تمام الكلام فيما يتعلق بمهمات مسائل الحج ، وقد وقع الفراغ منه في السادس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ١٣٨٨ الهجرية في بلدة يزد ، وهذا هو الشهر الخامس عشر من زمان إخراجي من دياري بغير حق، حفظ الله المسلمين من يد الأجانب ، ومن عبثهم في عقول المسلمين ، وأهلك الله كل من تسول له نفسه العبث في بلاد المسلمين "[1].

(١) فقه الصادق : ١٢ / ٣٥٠ .

وقال في موضعٍ آخر : " وقد كتبت كتاب الحج في ثلاثة أجزاء في بلدة يزد ، حينما أخرجوني من بلادي ظلماً بجرم الدفاع عن الدين وأحكام الاسلام ، وأجبروني على المقام بها ، والآن أيضاً أنا في (ميكون) قرية من قرى طهران ، وعلى ما أخبروني أخيراً أنّ بناء الحكومة على أن ينقلوني من هذا المكان إلى مكان أبعد، وعلى الجملة أني قريب من سنتين لا أزال أنتقل من سجن إلى سجن ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون " [1].

وقالَ في نهاية كتاب النكاح : " وله الشكر على ما أولانا من إتمام كتاب النكاح الذي هو آخر قسم العقود ، وقد كان ذلك في أوائل الليلة الثانية من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٨٨ في قرية (ميكون) من قرى طهران في أواخر السنة الثانية من السنين التي كنت مخرجاً من ديارى بغير حق ، للدفاع عن حريم كتاب الله المتكفل بهداية البشر في جميع شؤونهم في أجيالهم وأدوارهم ؛ ولذا ضيقوا عليّ الأمر ، ومنعوا من أن يزورني أحد ، والمأمورون في جميع الأوقات مراقبون ، وهم غلاظ شداد ، وفي هاتين السنتين لا أزال أنتقل من سجن إلى سجن ، ويراعون في ذلك أن أكون في أيام الصيف في المناطق الحارة كزابل وما أدراك ما زابل ، كانت تبلغ درجة الحرارة إلى خمسين درجة فوق الصفر ، وفي أيام الشتاء في المناطق الباردة كهذه القرية ، وأنا في هذه المدة مريض وبي أمراض منها قرحة الاثني عشر، والأطباء ممنوعون من معالجتي " [2].

---

(١) فقه الصادق : ٢١ / ٣٢٧ .
(٢) فقه الصادق : ٢٢ / ٣٥٠ .

وقالَ في موضعٍ آخر متحدثاً عن عدم وفرة المصادر : " وحيث إني الآن محبوس في قرية ميگون من قرى عاصمة إيران ، بجرم الدفاع عن حريم الإسلام وأحكامه السماوية ، ولا أتمكن من التتبع التام لأرى أنّ الصحيح ما في هذه الوسائل أو ما في الكتابين لعدم وجود الكتب عندي ، فلا أحكم باعتباره في نفسه وعدمه "[1].

وقال أيضاً في نهاية كتاب الإرث : " وقد وقع الفراغ من كتاب الإرث في عصر يوم الإثنين ، في أواخر العشر الثالث من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٨٨هـ ، في قرية ميكون من قرى طهران، حينما كنت محبوساً هناك بجرم الدفاع عن حريم الدفاع عن حريم القرآن ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ، والحمد للّه على نعمائه وآلائه من الصبر على هذه المصائب، والتوفيق لكتابة الفقه ونشر الحقائق الإسلامية "[2].

ومن جميع هذه الصور المؤلمة نستلهم روح الهمة والمثابرة والنشاط ، ولزوم التحلي بملكة الإصرار على صعوبات الزمان وأعبائه في سبيل تجاوز عراقيل طريق التحصيل العلمي وعقباته الكأداء ، والصبر على ما تتطلبه الأبحاث التخصصية من المشقة والجهد .

ومن ذلك أيضاً نقف على حقيقةٍ مهمة ، وهي سرّ تفاوت أبواب الموسوعة ، فإنّ بعض أبوابها أقوى من بعضها الآخر ،

---

(١) فقه الصادق : ٢١ / ٤٥٦ .
(٢) فقه الصادق : ٢٤ / ٥٠٥ .

كما أنّ بعض أبوابها مفصّل ومبسوط بينما البعض الآخر أقلّ بسطاً وتفصيلاً ، وهذا يعود من ناحية إلى اختلاف ظروف كتابتها، فإنّ بعضها قد كُتب في وقت الرخاء ، حيث الوطن والأمن ووفرة المراجع ، بينما كُتِبَ بعضها الآخر في وقت الشدّة، حيث الغربة والسجن وشحّ المصادر ، كما أنّ بعضها قد كتبه سيدنا الأستاذ دام ظله وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، بينما بعضها الآخر قد كتبه وهو قد تجاوزَ الخمسين من العمر ، ومن الضروري أن يتفاوت مستوى الكتابة طبقاً لهذه العوامل الموضوعية ، فيخطئ جداً من يقتصر في تقييمه للموسوعة على ملاحظة بعض أبوابها دون البعض الآخر ، مع أنّ العوامل الموضوعية المُشار إليها دخيلة جداً في التقييم المُنصِف.

ولا بدّ أيضاً أن يُؤخذ بعين الاعتبار في مقام تقييم هذه الموسوعة ملاحظة مستوى الأبحاث السائد في حقبة تأليفها ، ومقارنتها بها ، وليس بما تأخّر عنها ، وإلا لكان الحكم لها أو عليها بعيداً عن الإنصاف والموضوعية .

كرامة فقه أهل البيت عليهم السلام:

ولا يفوتني في نهاية المطاف – تأكيداً على مكانة فقه أهل البيت عليهم السلام ، وتبركاً بذكر سيّد الشهداء عليه السلام – أن أشير إلى كرامتين مرتبطتين بهذه الموسوعة الشريفة :

١ – **الكرامة الأولى :** سمعتُ من السيّد الأستاذ دام ظله أنّه حين كانَ مبعدّاً إلى (يزد) ، كان في إحدى الليالي مشغولاً بكتابة (فقه الصادق) إلى أن شارف الوقت على الساعة الثانية بعد منتصف

الليل ، وجدَ نفسه حينها مرهقاً من عناء الكتابة ، فقرّر الخروج إلى حوض ماءٍ كان في صحن الدار [1] بهدف الوضوء وتجديد الطاقة ، ولكنّه بمجرّد الخروج من الدار فوجئ بسقوط سقفها على الأرض ، فسلمّه الله تعالى من موتٍ محقق ، ببركة اشتغاله بكتابه فقه أهل البيت عليهم السلام .

وقد تكرّرت له هذه الكرامة بصورةٍ مقاربة في سنوات مرضه الأخيرة ، حيث قام السيّد من فراشهِ إما للوضوء وإما لقيام الليل – والترديد مني – فما تحرّك حتى سقطت قطعة من جصّ السقف على فراشهِ[2]، ولكن من لطف الله تعالى به أن ألهمه القيام ، وإلا لوقع ما لا يُحمد ، وقد رأيتُ بنفسي صور المكان .

(١) وقد سمعتُ منه دام ظله أنّهم في يزد قد أسكنوه في بيتٍ كبير للغاية ، بحيث إنَّ مَن يسكن فيه وحده تأخذه الرهبة وتقتله الوحشة ، ولم يسمحوا لأيّ شخصٍ بالدخول عليه لمدة ثمانية أشهر ، ثمَّ أخذوه إلى طهران وسجنوه في غرفةٍ صغيرة جداً تحت الأرض لا يُعلم فيها الليل من النهار ، وبقي فيها سنة كاملة من غير فراش ولا طعام سوى الخبز والجبن ، فبلغت المدة التي قضاها في المنفى – بين زابل ويزد وطهران – ثلاث سنوات.

(٢) وممّا فُوجئتُ به ، ويجدر توثيقه – ليطلّع المؤمنون على الجانب الخفي من سيرة مراجعنا العظام – أنني حين رأيتُ الصور رأيتُ فراش هذا المرجع الجليل فراشاً قطنياً عادياً مفروشاً على الأرض في وسط غرفةٍ قديمة متواضعة ، ثمَّ شاهدتُ ذلك بعيني حين تشرفتُ بعيادتهِ في غرفتهِ تلك .

٢ – **الكرامة الثانية : سمعتُ من سيدي الأستاذ الأعظم (دامت بركات وجوده) أنّه قال :** لمّا طبعتُ الجزء الأول من كتابي (فقه الصادق) أهديتُ نسخاً منه لمراجع الطائفة وأعلامها آنذاك، وكان أحد من أهديتهم هو سماحة آية الله العظمى ، السيد الميرزا مهدي الشيرازي (طيّب الله ثراه) - العالم المعروف في كربلاء المقدّسة - فبعث لي رسالة يشكرني فيها على تأليف الكتاب ، وأرفقَ معها قليلاً من التربة الحسينية ، وقال : " إنّ هذه التربة من تراب القبر الشريف ، وهي عزيزة عندي ، ولم أجد ما هو أعزّ منها لأقدمه هدية لك تقديراً لجهودك" .

يقول الأستاذ دام ظله : وقد احتفظتُ بها كتحفةٍ نفيسة لا تقدّر بثمن ، فاتفق أن مرضَ سبطي : السيد محمود الخسروشاهي (حفظه الله) مرضاً شديداً جداً ، حتى انتهى به الأمر إلى الإغماء، ويئسوا من شفائه ، فجيء به إليّ وأنا في المكتبة ، ووُضِعَ بين يدي كجثةٍ هامدة ، وبينما أنا أفكّر في أمره وأمر والدته المحترق قلبها ، إذ خطرت في قلبي فكرة مداواته بتلك التربة الحسينية الشريفة ، فأخرجتها وأخذت منها مقداراً قليلاً ، ووضعته في فمه ، فحرّك جسده من لحظته ، ثمّ فتح عينيه ، وكأنّ الحياة قد دبّت في جسده من جديد، وابتعد عنه شبحُ الموت بعد أن كان على شفا حفرة أو أقل من ذلك ، وعاد سالماً معافى ببركة تربة سيد الشهداء الحسين (عليه آلاف التحية والسلام) .

كلمة الختام :

وفي الختام : لا يسعنا إلا أن نقف وقفة إجلالٍ وإكبار بين اليدين المباركتين اللتين حبّرت يراعتهما المعطاءة هذه الموسوعة المباركة ، ونرفع أكفّ الضراعة إلى الله تعالى سائلينَ منه أن يصون مهجة سيدنا الأستاذ المؤلف ، ويطيلَ في عمره الشريف ، تحت ظلِّ عناية وليّ الله الأعظم ، سلطان العصر وإمام الزمان ، الحجة بن الحسن المهدي (أرواحُ جميع العالمين لتراب مقدمهِ الفداء) .

وآخرُ دعوانا أن الحمد للهِ ربّ العالمين ، وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين ، واللعنة المؤبدة على أعدائهم أجمعين .

أقلّ تلامذة المؤلف المعظّم (دامت بركاته)
ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي
قم المقدسة
يوم الأربعاء ٤ / ربيع الأول / ١٤٣٤ هـ

أضواء على كتاب (زبدة الأصول)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على محمدٍ وآلهِ الطاهرين ، واللعنةُ الدائمة المؤبدة على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين .

لا شكَ في أنَّ (علم الفقه) بقسميه : الأكبر والأصغر ، هو أشرفُ العلوم على الإطلاق ؛ لأنَّ شرفَ العلم – كما قالوا – بشرف موضوعه ، ولا موضوع أجلّ وأشرف من معرفة اللّه تعالى ومعرفة شريعته ، وهاتان المعرفتان هما ما تدور عليهما رحى منظومة أبحاث علم الفقه بشقيه المذكورين .

وبما أنَّ (علم الأصول) هو مفتاح الوصول إلى معارف علم الفقه ، فهذا مما يوجب أن تكون أهميته بمستوى أهمية ما يوصل إليه ؛ نظراً لتبعية المقدمة لذيها في الأهمية ، كما لا يخفى ؛ ولذلك اشتهرَ على ألسنة الأعلام (قدست أسرارهم) قولهم : " مَن لا أصولَ له لا فقهَ له " .

وقد تحدث عن ذلك سلطانُ علم الأصول المحققُ الآخند قدس سره فقال: " وعمدة ما يحتاج إليه هو علم الأصول ، ضرورة أنه ما من مسألة إلا ويحتاج في استنباط حكمها إلى قاعدة أو قواعد برهن عليها في الأصول ، أو برهن عليها مقدمة في نفس المسألة الفرعية ، كما هو طريقة الأخباري "[2].

(١) طُبع تقديماً للطبعة الخامسة الصادرة عن دار (كلبه شروق) بقم المقدسة ، سنة ١٤٣١ هـ ، وقد أجريت عليه بعض التعديلات اللازمة .
(٢) كفاية الأصول : ٥٣٤ .

ونظـراً لهـذهِ الأهميـةِ الكبـرى ، فقـد اعتنـى علمـاءُ الطائفـةِ المحقـة بهـذا العلـمِ الشـريف اهتمامـاً قـلَّ نظيـره ، فأشـبعوه بحثـاً وتحقيقـاً وتدقيقـاً حتـى بلـغَ أَشُـدَّهُ مـن العمـقِ والقـوة ، بحيـث لـو تسـنى للباحـثِ أن يُقـارنَ بيـن مسـتوى الفكـر الأصولـي الشـيعي بصورتـه الفعليـة ومسـتوى الفكـر الأصولـي لـدى المـدارس الإسـلامية الأخرى لوجدَ أنَّ المساحةَ بين الفكرين في غاية البعد .

ومـن المعـروف لـدى مؤرخـي هـذا العلـم ودارسـيه : أنَّ هـذا العلـم قـد مـرَّ بعـدة نقـلات تطوريـة سـاهمت فـي تقدمـه السـريع ، ولعـلَّ مـن أهمهـا النقلـة النوعيـة التـي أحدثهـا عمـلاقُ الفكـر الأصولـي الشـيخ مرتضـى الأنصـاري قدس سره ، فـإنَّ علـم الأصـول – سـيما فـي أبحـاث الأصـول العمليـة – قـد نضـجَ علـى يديـه ، وبلـغَ ذروتـه في العمق والدقة .

وقـد امتـدّت مدرسـته الأصوليـة – بـكلِّ مـا تحملـه مـن ملامـح القـوة – علـى يـد أحـد عباقرتهـا ، ألا وهـو المحقـق الأصولـي الكبيـر الشـيخ الآخنـد الخراسـاني قدس سره صاحـب الكتـاب الحـوزوي الشـهير (كفايـة الأصـول) ، والـذي كانـت لـه لمسـات واضحـة جـداً فـي بلـورة الفكـر الأصولـي وتشـييد معالمـه ، سـيما فيمـا يرتبـط بمباحـث الألفاظ .

وقـد بقيـت مـن بعـده هـذه المدرسـة شـامخةَ الملامـح والخصائـص علـى أيـدي مَـن عرفتهـم الحـوزاتُ العلميـة بـ (المحققين الثلاثـة) ، وهـم : المحقـق الميـرزا حسـين النائينـي ، والمحقـق الشـيخ

محمد حسين الأصفهاني ، والمحقق الشيخ آغا ضياء العراقي (قدّست أسرارهم).

بل لعلَّ الباحث لا يجانب الصواب فيما لو ادعى أنَّ كل واحد من هؤلاء الأعلام قد استطاع أن يشكّل له مدرسةً قائمةً بذاتها، فإنَّ مدرسة المحقق الأصفهاني ذات منحى فلسفي واضح، قد سيطرَ عليها تفكير صاحبها الفلسفي سيطرةً تامة ، بينما مدرسة المحقق العراقي مدرسة فكريةٌ محضة ، فهوَ وإن لم يُخضِع علمَ الأصول لأيِّ علمٍ آخر إلا أنه قد أعملَ فيه منتهى جهده الفكري الخلاّق بعيداً عن المتفاهمات العرفية ، مما جعل مدرسته الأصولية لا تقل تعقيداً عن سابقتها ، وبين هاتين المدرستين جاءت مدرسة المحقق النائيني قدس سره مزيجاً بين العمق الفلسفي وسلاسة الفهم العرفي ، لتتجلى من خلالها مدرسة الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره بأبهى صورها وأوضح ملامحها .

وقد تكاملَ الفكر الأصولي على يد هؤلاء الأعلام تكاملاً ملحوظاً ، فاتضحت الكثير من أسراره وغوامضه ، وتبلورت الكثير من أطروحاته ونظرياته ، سيما وأنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ العباقرة قد ربى نخبةً من التلامذة الذين كان لهم إسهامٌ كبيرٌ في تجلية أفكار أساتذتهم ، وإبراز نقاط القوة فيها .

وكانَ من أبرز وأكفأ تلامذة هذه المدارس الثلاث : سيد أساطين العلم ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره ، فإنه مضافاً إلى حضوره عند أرباب هذه المدارس الثلاث جميعاً ، قد تميّز وبرعَ جداً في جمع نقاط القوة الموزعة بين المدارس الثلاث ،

فجاءت مدرسته الأصولية مزيجاً بين مدرسة الأصفهاني والعراقي والنائيني ، وإن كانت أقرب إلى هذه الأخيرة من غيرها .

وقد منحَ الله تعالى هذا السيد العظيم طاقةً فائقة من البيان، فاستطاعَ من خلالها أن يُبَلورَ نظريات هذه المدارس الثلاث بشكلٍ منقطع النظير ، حتى قالَ فيه أحدُ تلامذته ، وراحت مقولته مثلاً سائراً : " لقد أنسى مَن قبله ، وأتعبَ مَن بعده "[1].

ولذلك كانَ هو الوحيد – من تلامذة المحققين الثلاثة قدس سره – الذي وفقه الله تعالى لاجتماع الآلاف من الأجيال تحت منبره الشريف على مدى ستين سنة ، وعلى أيديهم امتدت مدرسته العلمية – فقهاً وأصولاً ورجالاً – واشتهرت آراؤه وذاعت مبانيه في جميع المراكز العلمية للشيعة ، حتى لُقِّبَ بحقٍ بلقبِ (زعيم الحوزة العلمية) نظراً لهيمنة آرائه العلمية على جميع الحوزات الشريفة ، بالمستوى الذي أصبحَ فيه الدرس العاري عن ذكر آرائه ونظرياته درساً مرغوباً عنه .

(١) وما أفاده هذا القائل وإن كان تاماً وصحيحاً بحسب الحيثية التي لاحظها ، إلا أنه بلحاظ حيثيةٍ أخرى قد يُقال : إنَّ المحقق الخوئي قدس سره لم يُتعب مَن جاؤوا بعده ، بل أراحهم ؛ نظراً لما منحه الله تعالى من جمال البيان وسحره ، والقدرة على استحضار الأمثلة الحسية لتقريب المطالب العقلية ، فإنَّ كثيراً من المغلقات الأصولية التي يمرّ بها الحوزوي في كلمات الشيخ الأعظم أو المحقق الآخند أو أحد المحققين الثلاثة (قدّست أسرارهم) لا يبرح حتى تنفتح له مغاليقها على يد المحقق الخوئي ، كما أنَّ كثيراً من المعضلات الفقهية التي يصطدم بها الطالب في كلمات صاحب الجواهر أو المحقق الهمداني أو السيد الحكيم (قدّست أسرارهم) ما أسرعَ أن يصل الطالب إلى عمق جذورها عندما يقرؤها في كلمات المحقق الخوئي قدس سره ، فهو من هذه الجهة قد أراحَ من بعده كثيراً.

وإنَّ من أبرز هؤلاء الأعلام الذين خرجهم منبرُ المحقق الخوئي قدس سره : أستاذنا الأكبر ، سماحة آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، الفقيه المحقق ، والأصولي المدقق، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (دامت بركات وجوده) ، فإنه من أوائل طلابه والمستفيدين منه ، ومن ألصقهم به وأقربهم إليه[1].

وقد تحدثَ المحققُ الخوئي قدس سره عن تلميذه هذا – وهو في العقد الثاني من عمره الشريف فقط – فقال مقرظاً تقريرَه لأبحاثه العليا في الفقه والأصول : " إني قد لاحظتُ منه مواقع عديدة ، وجملاً مفيدة ، فألفيتها تقريرات سديدة ، تعرب عن الحقائق التي تلقاها من محاضراتي التي كنت ألقيها ، وتكشف عن الشوارق التي اقتبسها من المباحث التي كنت أمليها، بما جعله عندي على صغر سنه ، كبيراً في فنه ، فذاً في دقة نظره ، وقوة ذهنه ، واستقامة سيره ، وسرعة وصوله ، فيما حرره وقرره من مباحث العلمين العظيمين الكبيرين : علم الفقه وأصوله ".

واستمرَّ السيد الأستاذ (دامت بركاته) في حضوره عند المحقق الخوئي قدس سره مدةَ مكثه في العراق – أي : ما يقارب الأربعة عشر عاماً – ملازماً له ملازمة الظل لذي الظل ، إلى أن قهرته الظروف على مغادرة النجف ، فغادرها راجعاً إلى مسقط رأسه

(١) في بداية الأمر حضر السيد الأستاذ دام ظله حضوراً بسيطاً عند المحقق العراقي قدس سره ، ولكنه بإشارةٍ من المحقق الخوئي قدس سره استبدل حضوره عنده بالحضور عند المحقق الأصفهاني قدس سره لمدة سنتين أو ثلاث ، كما وحضر عند بعض المبرزين من أساتذة النجف الأشرف كالمحققين الشيخ محمد علي الكاظمي والشيخ محمد كاظم الشيرازي (قدس سرهما) ، إلا أنَّ عمدة حضوره كانت لدى المحقق الخوئي ، ولذا فإنه كثيراً ما يعبِّر عنه بـ (الأستاذ الأعظم) .

مدينة قم المقدسة ، عالماً جليلاً ومدرساً قديراً ، وهو بعدُ في حداثة سنه .

وفي قم المقدسة بدأ بإلقاء أبحاثه العليا في علم الأصول – إلى جانب أبحاثه العالية في الفقه – فأتمَّ خمس دورات كاملات، وبدأ في الدورة السادسة – التي تشرفنا بحضورها عنده – إلا أنه لم يتمها للأسف الشديد[1] ، بل وختم مسيرته التدريسيّة – خلافاً للمتعارف عند أمثاله – بتدريس دورة أصولية جديدة ، بعد أن عطَّل درس الفقه ، ولكنّ المرض حال بينه وبين إتمامها .

وقد تمخضت عن هذه الدورات الخمس موسوعته الأصولية (زبدة الأصول) ، كما أشار لذلك دام ظله في مقدمتها ، حيث قال : " وبعدُ ، فهذه زبدة الأصول ، جادَ بها الفكر من خلال إلقاء المحاضرات في المسائل الأصولية على جماعةٍ من الأفاضل في خمس دورات ، وكنتُ أدوّن ما ألقيه ، فلما تمَّ تأليف الكتاب رأيتُ الأولى إخراجه إلى عالم الظهور "[2].

فظهرَ أن هذه الموسوعة التي بين يديك : (زبدة الأصول) جاءت نتيجة دورات أصولية متعاقبة ، وهذا يعني أنها قد كُتبت

---

(١) وإني إنما أتأسف لعدم إتمامها ، لاشتمالها على تحقيقات جديدة ، ومتابعة جادّة لآخر ما انتهى إليه الفكر الأصولي الإمامي ، فقد اهتمَّ فيها اهتماماً فائقاً بكتاب (منتقى الأصول) لأخيه الأكبر ، المحقق الجليل ، سماحة آية الله العظمى ، السيّد محمد الروحاني (طيَّب الله ثراه) ، ومناقشة مطالبه ونقدها .

(٢) زبدة الأصول : ١ / ٣ ، وقد تحدث (دام ظله) عن تاريخ كتابتها ، فقال : (وقد كنتُ كتبتُ في الأصول مرّات، وفرغتُ منه في المرّة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ ، ولكن جمعتُ جميع ما كنتُ كاتباً إياه في تلك المرّات ، وفرغت من إخراجه من المسودّات إلى المبيضّة في يوم الأحد من شهر شعبان ١٣٨٦ هـ) .

بعد مِراسٍ طويلٍ ومكثَّفٍ لما انطوت عليه من النظريات والأفكار ، فكان ذلك من موجبات تلاحم أفكارها واستحكام مبانيها ، وهذا بوحده مما يضاعف من قيمتها العلمية والأصولية.

وتتميزُ هذا الموسوعةُ الشريفةُ – مضافاً لما أشرنا إليه – بعدّةِ مزايا رائعة ، لا بأسَ بالإشارة السريعةِ إلى بعضها :

١/ الميزة الأولى : التتبعُ والجامعية .

ففي الوقت الذي اتسمت فيه بعضُ الموسوعات الأصولية بالأُحادية ، فتشربت بفكر المحقق النائيني فقط ، أو انطبعت بفلسفة المحقق الأصفهاني لا غير ، أو توقفت عند شموخ فكر المحقق العراقي ، جاءت موسوعة (زبدة الأصول) لتكون المستوفية لجميع هذه المدارس ، بل ولغيرها أيضاً ، حيث اعتنى السيد الأستاذ (دامت بركاتُه) بشكلٍ لافتٍ بآراء المحقق الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره ، وأولاها من العناية ما يليق بشأنها ، تنبيهاً على مكانتها ولزوم الاهتمام بها ، بل تعرّضَ لآراء بعض معاصريه ونقدها أيضاً .

■ كتعرضه للقول بأنَّ مفاد (لا ضرر) ليس هو الحكم التشريعي، وإنما هو الحكم السلطاني ، ومناقشته له .

■ وتعرضّه للقول بجريان الاستصحاب فيما لو غفل الشاكُّ عن شكه ، مع كونهِ موجوداً في خزانة النفس ، ومناقشته له أيضاً .

ومن ذلك يظهر خطأ ما يتوهمه البعض من كون (زبدة الأصول) استنساخاً لأصول السيّد الخوئي قدس سره ، فهو وإن بدا متأثراً بأستاذه ،

إلا أنَّ بين أصوله وأصول أستاذه تمايزاً واضحاً ؛ إذ أنّه قد استوفى كثيراً من مطالب أستاذيه المحققين العظيمين الإصفهاني والعراقي، واهتمَّ بها وناقشها ، كما ناقشَ مطالب أستاذه الأكبر المحقق الخوئي ونقدها ، وتوقّف عند بعض ما تجاوزه أستاذه ولم يحققه ، نظير بحثه حول قاعدة (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح) مثلاً، مضافاً لمتبنياته العلمية الخاصة التي خالفه فيها .

- نظير ذهابهِ في المعاني الحرفية إلى وضع الحروف للنسب والمعاني الصرفة ، لا لتضييق المعاني الاسمية .
- وتفريقه بين الإنشاء والإخبار في الصيغ المشتركة باختلاف الدواعي.
- والتزامهِ بالتخيير في مورد المتزاحمين المشروط كلٌّ منهما بالقدرة الشرعيّة ، مع اتحادهما زماناً .
- وتبنيه للقول بحجيّة الخبر الموثوق ، لا خصوص خبر الثقة .
- وتبنيّه أيضاً للقول بجابرية الشهرة العمليّة وكاسريتها
- واعتقاده بشمول أدلة الأصول لبعض أطراف العلم الإجمالي تخييراً .
- وإنكاره في بحث التعارض لمسلك انقلاب النسبة .
- وبنائه على وحدة قاعدة الفراغ والتجاوز في مقام الإثبات ، وعلى جريانها في المستحبات كجريانها في الواجبات ، وغير ذلك من الموارد .

وبالجملة فإنَّ قواعد (زبدة الأصول) وإن كانت قد شُيّدت على ضوء المدرسة الأصوليّة للسيّد الخوئي قدس سره ، إلا أنّها مع التوسّع والإضافة والتحقيق والتدقيق والهدم والبناء ، فهي معينةٌ على فهم نكات معانيها ، ومعرفة جذور مبانيها ، ومدِّ جسورها إلى مؤسسيها ،

ومثيرةٌ لنقدها والتأمّل فيها ، مضافاً لما تتمتع به من المزايا الأخرى التي تمَّ الإيماء إليها .

٢ / الميزة الثانية : التحقيقُ العلمي .

فإنَّ تتبع الآراء وإن كان مهماً ، تطبيقاً للمأثورة القائلة : " أعقلُ الناس مَن جمع عقول الناس إلى عقله " ، إلا أنَّ الأهم منه هو إعمال دقيق الفكر فيها ، وإبراز النكات المشتركة بينها ، والقدرة على محاكمتها ببيان ثغرات الوهن وتشييد مراكز القوة فيها .

وهذا ما يظهر جليّاً من هذه الموسوعة القيمة (زبدة الأصول) ، فإنها جمعت بين التدقيق والتحقيق ، والتتبع والعمق .

ولذا ترى السيد الأستاذ دام ظله – كما هو دأب جهابذة التحقيق – كثيراً ما يُعرِضُ عمّا عليه المحققون من أساتذته ، بل عمّا عليه المشهور أحياناً ، وينحو نحوَ ما نهضَ عليهِ الدليل ، وانتهت إليه قناعته العلمية ، غيرَ عابئٍ بمخالفتهم ما دامَت تقوده الحجة ويسوقه البرهان ، ولذلك نماذج وأمثلة كثيرة لا بأسَ بالإشارة إلى بعضها :

أ – النموذج الأول : تبني القول بوجوب المقدمة بالوجوب الغيري الشرعي ، رغمَ أنَّ أستاذيه المحققين : الأصفهاني والخوئي (قدّس سرهما) قد بنيا على عدم الوجوب .

ب – **النموذج الثاني** : البناء على كون امتثال الواجب الغيري من موجبات استحقاق الثواب ، بل وأنَّ مخالفته من حيث هو موجبة لاستحقاق العقاب ، وهذا الرأي –بالنسبة للشق الثاني منه – يكاد أن يكون من متفرداته (دامت بركاته) .

ج – **النموذج الثالث** : تصحيح قاعدة التسامح في أدلة السنن، رغم أنَّ المشهور بين المتأخرين هو القول بعدم تماميتها .

د – **النموذج الرابع** : القول بأنَّ مقتضى القاعدة في الدليلين المتعارضين هو التخيير ، رغمَ أنَّ المعروف بين المتأخرين هو القول بالتساقط .

ومِن خلال هذه النماذج – التي ذكرناها على سبيل الإشارة لا الاستقصاء – تتجلى سِمَةُ التحقيق التي تتسم بها موسوعة (زبدة الأصول) .

٣ / الميزة الثالثة : جمالُ البيان وإيجازه .

لا يخفى أنَّ القدرة على بيان الحقائق والمفاهيم النظرية – سيما المعقَّد منها – نعمةٌ يُغبطُ عليها صاحبها ، وهيَ كاشفةٌ غالباً عن صفاء المعلومات المختزنة في الذهن ، وعدم تشويشها؛ ولذلك يستطيع صاحبها أن يصبَّها في قوالب لفظية مؤديةٍ إليها .

غيرَ أنَّ الأروعَ من ذلك أن تكون هذه القدرةُ مقترنةً بقدرةٍ أخرى لا تقل عنها أهميةً وجمالاً ، وهي القدرة على إيجاز البيان واختصاره وعدمِ الإسهاب فيه ، وصاحبُ هذه القدرة هو المتمكنُ من اختيار قوالب الألفاظ التي لا تزيد ولا تنقص عن المعاني التي يريد إيصالها إلى ذهن المُخَاطَب .

وهذا ما يميّز سيدنا الأستاذ (دامت بركاته) – كما يظهر للمتابع لمؤلفاتهِ القيّمة – فإنه ليس صاحبَ قدرةٍ بيانيةٍ فحسب، بل هو صاحبُ قدرةٍ فائقةٍ على إيجازِ البيان وهندستهِ في حدود مُراداتهِ التي يُريد تفهيمها ، فقلمُهُ الشريفُ مصداقٌ بارز لمقالة العرب الشهيرة : " خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ " ، ولقولِ سيّدِ البلاغةِ والبلغاء عليه السلام : " ثلاثةٌ فيهنَّ البلاغة : التقرب مِن معنى البغية ، والتبّعد مِن حشوِ الكلام ، والدلالةُ بالقليلِ على الكثير" .

وأتذكرُ جيداً أنني سمعتُ ذاتَ مرةٍ أحدَ أساتذةِ البحث العالي في الحوزة العلمية بقم المقدسة ، يقول : " إنني إذا لم يتضِح ليَ المرادُ الجدّي من كلامِ المحققِ الخوئي قدس سره أرجع لكتاب (زبدة الأصول) للسيّد الروحاني دام ظله فأجدهُ قد أوضحَ ما أُغلقَ عليَّ ببيانٍ مفهومٍ وجميلٍ "[1].

والأمرُ كما أفاده هذا العالمُ الجليل ، فإنَّ سماحةَ السيد الأستاذ (دامَ ظلُّهُ الشريفُ) قد أخرجَ الكثير من الأبحاث والنظريات الأصولية مِن كَتْمِ الإغلاق والتعقيد ، وصبَّها في

(١) سمعتُ ذلك من العلامة الحجّة ، العالم العامل ، سماحة السيد هاشم الهاشمي الگلبيگاني (طيّب الله ثراه) ، وقد وجدتُ ذلك ظاهراً في كتابه الأصولي (خلاصة الأصول) ، فقد اعتمد كتاب الزبدة اعتماداً كبيراً وواسعاً .

قوالبَ جديدة تتسمُ بلطفِ الصياغةِ وحُسْنِ البيان ، فأوضحَ بذلك مغلقاتها وحلَّ معضلاتها وعالجَ مبهماتها .

وبحسب تجربتي الشخصية في التعامل مع كتاب (زبدة الأصول) ، فإنني أعتقد فيه بأنه مفتاحٌ من مفاتيح المعرفة الأصولية ، سيما فيما يرتبط بآراء العلَمَينِ الكبيرين : العراقي والأصفهاني (قدّس سرهما) ؛ إذ حينما يقف الفكر أحياناً حائراً عند عبائرهما المغلقة ، يتلاشى ذلك الإغلاق بالرجوع إلى كلمات السيد الأستاذ (دامت بركاته) ، ويتبدل إلى رؤيةٍ واضحةٍ غيرِ مشوبةٍ بغموض .

هذهِ كانت بعضُ مزايا (زبدة الأصول) لسيدنا الأستاذ (دامت بركاته) ، والمزايا الأخرى أترك اكتشافها لأرباب العلم والفضل .

ولا يسعنا – ونحن في نهايةِ مطاف هذهِ المقدمة – إلا أنْ نرفع أيدي الضراعةِ إلى اللّهِ تعالى ليحفظَ سيدنا الأستاذ المفدى مِن كلِّ سوءٍ ومكروه ، ويديمَ ظلالَهُ وارفةً على رؤوس المؤمنين، بحق أجدادهِ الطاهرين (صلواتُ اللّهِ عليهم أجمعين) .

٤ / ١٠ / ١٤٣١ هـ

أضواء على كتاب (منهاج الفقاهة)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على محمدٍ وآلهِ الطاهرين ، واللعنةُ الدائمة المؤبدة على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين .

إذا أردتَ يوماً أنْ تستعرضَ أسماءَ نوابغِ العلمِ على مدى التاريخِ كلِّه ، فإنكَ ستجد نفسكَ مرغماً على ذِكر الآية العظمى (الشيخ مرتضى الأنصاري) ، كأحدِ أبرز مَن عرفهم التاريخُ بالنبوغِ والعبقريةِ في علمي الفقه والأصول .

ويبقى الفارقُ بينَ الشيخِ الأنصاري قدس سره وبين كثيرينَ ممّن يتصدرونَ قائمةَ نوابغِ التاريخ : أنَّك لا تمتلكُ دليلاً على عبقرية هؤلاءِ سوى التعبد بما يتناقلهُ المؤرخونَ عنهم ، غيرَ أنَّك عندما تبحثُ عن دليلِ ظاهرةِ النبوغِ عندَ الشيخِ الأنصاري ، فإنكَ ستجد بينَ يديكَ معجزتين فائقتينِ شاهدتينِ لهُ بالنبوغِ العلمي في أقصى درجاتهِ .

المعجزةُ الأولى : كتابهُ الأصوليُ الرائع (فرائد الأصول) والمشهور في أعراف الحوزات العلمية باسم (الرسائل) ، والكاشفُ عن خبرويتهِ وبراعتهِ وسيطرتهِ على المباحث الأصولية ، سيما مباحث الأصول العملية ، والمعجزةُ الثانية – وهيَ الأعظمُ شأناً ، والأكبرُ قدراً – كتابهُ الفقهيُ العظيمُ (المكاسب) .

---

(١) طُبع تقديماً للطبعة السادسة الصادرة عن دار (كلبه شروق) بقم المقدسة ، سنة ١٤٣١ هـ ، وأجريتْ عليه بعض التعديلات .

أمامَ هذينِ الكتابين تجد نفسَكَ حقاً أمامَ معجزتين من معاجزِ العلم ، اللاتي لا يجود بها الزمانُ إلا نادراً ، ومتى ما سبرتَ غَوْرَ الكتابينِ المعجزتينِ دراسةً وتدريساً وبحثاً وتنقيباً ستتجلى لكَ أبعادُ إعجازهما ، حينَ تقع منهما على جواهرِ العلم ولئالئ المعرفة ، وتصل إلى نفائس ما اشتملا عليهِ من شُموخِ التحقيق والتدقيق .

ولعلَّ بقاءهما متربعينِ على عرشِ مناهجِ الحوزاتِ العلمية سطحاً وخارجاً ، قرابةَ قرنٍ ونصفٍ من الزمان – يبدأ منذ رحيل مؤلفهما العبقري سنة ١٢٨١ هـ ويستمر حتى يوم الناس هذا – يكفي لإثبات إعجاز الكتابين .

ونظراً لما امتازَ بهِ كتابُ (المكاسب) من العُمق العلمي ، فقد صارَ مقياساً عند بعض أساطين العلم لتمييز المجتهد عن غيرهِ ، وبمقدارِ فهم الشخص لآراءِ الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره يُعلم مستوى ملكتهِ الاجتهادية .

ولنفسِ اللحاظِ أيضاً صارَ الكتابُ محطَ أنظارِ أساطين العلم في الحوزاتِ المشرفة ، بينَ كاشفٍ عن غوامضِ أسرارهِ ، وبينَ منقبٍ في أعماقِ أغوارهِ ، وجميعُهم يتنافسونَ في تحقيق مطالبهِ الأنيقة ونكاتهِ الدقيقة ، فكثرت لذلكَ شروحهُ وتعاليقهُ وحواشيهِ، حتى أنكَ لا تكاد تقرأ ترجمةً لأحدِ عمالقةِ الفكر وأكابرِ العلم إلا وتجد من آثارهِ ومؤلفاتهِ شرحاً على كتاب (المكاسب) أو تعليقاً عليه .

وتأتي في طليعةِ تلكَ النتاجاتِ العلميةِ الرائعة : حاشيةُ المكاسبِ ، لسيّد العروةِ الوثقى السيدِ اليزدي ، وحاشيةُ المكاسبِ، للمحققِ الآخندِ الخراساني ، وغايةُ الآمالِ ، للمحققِ الشيخِ محمدِ حسنِ المامقاني ، وحاشيةُ المكاسبِ ، للمحققِ الأيرواني ، والتعليقةُ على المكاسب ، للمحقق التقي الشيرازي ، وحاشيةُ المكاسبِ ، للمحققِ الهمداني ، وَحاشيةُ المكاسبِ ، لشيخِ المحققينَ الأصفهاني الكمباني ، وَبُلْغةُ الطالبِ في شرحِ المكاسب، للمحقق الشيخ محمد كاظم الشيرازي (قدّسَ اللّه أسرارهم) .

هذا سوى تلكَ المؤلفاتِ الجليلة التي اتخذَت من كتابِ (المكاسب) محوراً تدورُ عليهِ أبحاثُها ، ويكفيكَ منها : (منيةُ الطالبِ في شرحِ المكاسب) تقريرُ أبحاثِ المحقق النائيني قدّسَ سرّهُ ، وَ (مصباحُ الفقاهةِ) تقريرُ أبحاثِ المحققِ الخوئي قدّسَ سرّهُ .

وإنْ دلَّ هذا التكثرُ – في الشرحِ والتعليقِ – على شيءٍ ، فإنما يدل على مدى المكانةِ العلميةِ التي يحتلها كتابُ (المكاسب) عند عمالقةِ الفقه .

وامتداداً لهذهِ الجهودِ العلميةِ في تجليةِ معضلاتِ دقائق المسائل التي اشتملَ عليها كتابُ (المكاسب) جاءَ كتابُ (منهاج الفقاهةِ) – لسيدنا الأستاذِ المفدّى ، الفقيهِ المحقق ، والأصولي المدقق ، المرجعِ الديني الكبير ، سماحةِ آية اللّه العظمى ، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (دامت بركاتُ وجودهِ الشريف) – ليكونَ من خيرة الشروحِ المهمة على مكاسبِ شيخنا

الأعظم الأنصاري قدس سره ، وشاهدُ ذلكَ تعددُ طبعاته ، وتضاعفُ الطلبِ عليه .

وقد تحدَّثَ السيدُ الأستاذُ (دامت بركاته) حول انطباعاتهِ عن كتاب (المكاسب) ومؤلفه الشيخ الأعظم ، ودوافعِ تأليفهِ لشرحهِ، فقالَ: " كتابنا (منهاج الفقاهة) .. شرحٌ لكتاب (المكاسب) للشيخ الأعظم ، خاتمة الرعيل الأول من المجتهدين ، وأفضل المتأخرين، آية الله العظمى ، الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره ، الذي أصبحَ اليوم منتجعَ العلم ، ومحورَ الدراسة في الحوزات العلمية ؛ إذ كانت مباحث هذا الكتاب فاتحةَ عهدٍ جديد مبارك في الدراسات الفقهية والتتبعِ والتحقيق ، تقتضي مزيداً من العناية بشرحها ، وتيسير الإطلاع عليها ، وهذا ما توخيناه في هذا الكتاب " .

ومِن خلالِ هذه السطورِ التي قرأناها يتضح أنَّ كتابَ (المكاسب) – بنظرِ سيدنا الأستاذ – رغمَ الحواشي والشروحِ الكثيرةِ عليهِ إلا أنه لا زالَ بحاجةٍ لكشفِ مغاليقه ، وإيضاحِ غوامضهِ، وهذا ما دعاهُ لتأليفِ شرحهِ المبارك ليكونَ منهاجَ فقاهةٍ لمحتويات كتاب (المكاسب) .

وقد شرعَ في تأليفه إما قبلَ أو مقارناً لتأليفه لموسوعة (فقه الصادق) ، كما يظهر من بعض موارد إحالته عليها ، فإنه قد ذكره في الجزء الثاني ، وقال : (وقد حققناه في حاشيتنا على المكاسب)[1]، وتكررت منه الإحالة عليه بهذا العنوان في الأجزاء

(١) فقه الصادق : ٢ / ١٨٦ .

السبعة الأولى ، ولم يذكره بعنوان (منهاج الفقاهة) إلا في أواخر الجزء السابع فما بعده من الأجزاء[١] ، وبما أنّه قد شرعَ في كتابة فقه الصادق – كما مرَّ توثيقه – سنة ١٣٧٠ هـ ، فهذا يعني أنّه قد شرعَ في كتابة الحاشية على المكاسب كقدرٍ متيقن في حدود هذا التاريخ أو قبله ، ولكنّه لم يطبعها إلا سنة ١٣٨٠ هـ، كما تشهد بذلك رسالة المحقق الخوئي قدس سره له ، المؤرخة بتاريخ ٢٧ شهر شعبان سنة ١٣٨٠ هـ ، حيث جاء فيها : (تهانينا لكم بأنَّ حاشيتكم على المكاسب " منهاج الفقاهة " تحت الطبع ، ونتمنى أن تكونوا دوماً في زمرة ناشري العلوم الإسلاميّة)[٢] ، وفي رسالةٍ مؤرخة بتاريخ ٢٦ ذي القعدة من نفس السنة بعثَ له قائلاً: (إلى الآن لم يصلنا " منهاج الفقاهة " ، وبعد وصول نسخةٍ منه فبحسب أمركم سنوصلها إلى جناب الآغا أخيكم)[٣].

نعم ، لقد صرّحت بعض كتب الفهارس بطباعة الكتاب سنة ١٣٧٧ هـ[٤]، ولا أعلم وجه التوفيق بين التاريخين .

وهنا أمورٌ – ترتبطُ بمنهاج الفقاهة – يحسن ذكرها :

الأمر الأوّل : إنَّ النسبة بين كتاب منهاج الفقاهة وأبواب المتاجر من كتاب (فقه الصادق) لا أقول هي نسبة التساوي ، وإنما هي نسبة التقارب – إنْ صحَّ عدُّها من النسب – فالكتابان متقاربان ، والاختلاف بينهما موجود ، فإنَّ المنهاج من ناحيةٍ قد تضمّن بعض الإيضاحات لعبائر الشيخ الأعظم (طيّب الله ثراه)

(١) فقه الصادق : ٧ / ٤٩١ ، حيث قال : (لما حققناه في الجزء الثاني من كتابنا منهاج الفقاهة) .
(٢) نامه هاى تاريخى : ١٤٩ .
(٣) نامه هاى تاريخى : ١٥٩ .
(٤) فهرست كتابهاى چاپى عربى : ١٠٥٨ ، ونصُّ ما جاء فيه : (منهاج الفقاهة : تعليق على مكاسب الأنصاري، السيد محمد صادق الحسينى الروحانى ، ٢ جزء ، قم ، ١٣٧٧ ق ، سربى ، وزيرى ، ٤٨٠ + ٣١٢ ص) .

في كتابهِ المكاسب ، باعتباره حاشيةً عليه ، وقد خلا منها فقه الصادق ، كما أنَّ فقه الصادق من ناحيةٍ أخرى قد اشتملَ على فروعٍ لم يبحثها في المنهاج ، باعتبارها مرتبطة بمتن (تبصرة المتعلمين) الذي كُتِبَ فقه الصادق شرحاً له .

وعلى ذلك ، فإنَّ أحد الكتابين لا يُغني عن الآخر .

الأمر الثاني : إنَّ السيّد الأستاذ (دامت بركاته) في حدود أبحاث المكاسب المحرمة من منهاج الفقاهة قد أولى آراء أستاذه المحقق الخوئي (أعلى الله مقامه) عنايةً فائقة ، بينما لا تجد حضوراً لآرائه الشريفة في أبحاث البيع والخيارات ، ولعلَّ السرَّ في ذلك هو سبق طباعة قسم المكاسب المحرمة وشطر من قسم البيع من (مصباح الفقاهة) للسيد الخوئي (طاب ثراه) على طباعة (منهاج الفقاهة) ؛ إذ أنّه قد طُبعَ في حدود سنة ١٣٧٣ هـ ، بينما طُبِعَ المنهاج بعده بسنوات عدّة .

أمَّا جُلُّ أبحاث البيع والخيارات من (مصباح الفقاهة) فلم تُطبع إلا بعد طباعة المنهاج بسنوات ، على أنَّها قد طُبِعت بعد وفاة مقررها العلامة التوحيدي (طاب ثراه) كمسودّاتٍ لم تبيّض للأسف الشديد ، ممّا جعلها دون مستوى ما طُبِع منها في حياته، من حيث قوّة السبك ودقة المطالب .

الأمر الثالث : لقد اهتمَّ المتأخرون من فضلاء شُرَّاح كتاب المكاسب والمعلِّقين عليه بكتاب (منهاج الفقاهة) ، فنظروا إليه ونقلوا عنه ، وناقشوا مطالبه ونقدوها ، وربما وافقوها واستحسنوها ، ولا بأس بالإشارة إلى بعضهم :

١. سماحة السيّد راغب آل كمونة (طابَ ثراه) في كتابهِ (روائع الفقاهة)[١]، وقد عبّر عنه في مواضع عدّة بـ (الفقيه المحقق).

٢.سماحة الشيخ علي المروّجي القزويني (دام تأييده) في كتابه (تمهيد المطالب في شرح المكاسب) ، وقد عبَّر عنه بـ (بعض المعاصرين من الفقهاء)[٢].

٣.سماحة السيّد محمد علي المروّج الجزائري (دام تأييده) في تتمتهِ لشرح والده المقدّس – سماحة آية اللّه ، المحقّق المدقِّق ، السيّد محمد جعفر المروّج قدّس سرّه – المسمّى بـ (هدى الطالب في شرح المكاسب)[٣]، وقد عبَّر عنه في بعض الموارد بـ (ببعض الأعلام) ، وفي بعضها الآخر بـ (بعض الأعاظم) .

كما أنَّ هذه الكتاب الشريف قد أصبح مرجعاً مهماً للعديد من الموسوعات الفقهية المتأخرة ، ومن أبرزها : (موسوعة الفقه الإسلامي) التي صدرت بإشراف سماحة السيد محمود الشاهرودي (طاب ثراه) ، و (موسوعة أحكام الأطفال) التي أصدرها مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام بقم المقدسة .

---

(١) لاحظ : الجزء ١ ، الصفحات : ١٦ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ١٢٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٣٣٨ ، ٣٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٨٢ ، وغيرها .

(٢) لاحظ : الجزء ٥ ، الصفحات : ٣٢ ، ٩٦ ، وموارد أخرى .

(٣) لاحظ : الجزء ١٠ / ٣٢١ ، والجزء ١٤ / ٥٥٤ ، والجزء ١٦ / ٤٧٩ .

ويتميزُ هذا الكتابُ الشريفُ (منهاجُ الفقاهةِ) بعدّةِ مزايا رائعة، لا بأسَ بالإشارة السريعةِ إلى بعضها :

١/ **الميزة الأولى** : الدقةُ في الانتقاء ، فليس المهم بنظر سيدنا الأستاذ (دامت ظلاله الوارفة) هو جمع الآراء وعرضها فقط ، مع مناقشتها والتعليق عليها ، أو اختيار بعضها وتأييده ، بل هو في كلِّ مسألةٍ يضع يده على الرأي الذي يراهُ يتمتعُ بنكتةٍ علميةٍ أساسيةٍ دقيقةٍ يتفرد بها ، مِن غيرِ أنْ يُثقلَ على القارئِ بنقلِ الآراء الأخرى ، والتي قد لا تتناول سوى بعض المناقشاتِ الجزئية غير الدخيلةِ في أساس المطلب ، ومِن هنا تراهُ في بعض المسائل يعرض آراء اليزدي والآخوند والأيرواني والأصفهاني (قدست أسرارهم) ، معَ بيانِ مَا لَهَا ومَا عليها ، بينما في بعض المسائل يكتفي بنقلِ رأيِ واحدٍ منهم فقط ، وليس ذلك إلا لأنَّ تنقيح النكات الأساسية هو مصب اهتمامه .

٢/ **الميزة الثانية** : القدرةُ على الإيضاح ، وأتذكرُ جيداً أنني سمعتُ ذاتَ مرةٍ أحدَ أساتذةِ الحوزة العلمية في قم المقدسة يقول : إنني إذا لم يتضِح ليَ المرادُ الجدّي من كلامِ المحققِ الخوئي قدس سره أرجع لكتاب (زبدة الأصول) للسيّد الروحاني دام ظله فأجدهُ قد أوضحَ ما أُغلقَ عليَّ ببيانٍ مفهومٍ وجميلٍ .

ونفسُ هذه المزيةِ تتجلى بوضوحٍ في كتابِ (منهاج الفقاهة)، فإنَّ المتتبعَ لكلماتِ أصحابِ الحواشي المغلقةِ على كتاب (المكاسب) – كالمحققينِ العظيمينِ الأيرواني والأصفهاني (قدِّست أسرارهم) – يجد كيفَ أنَّ سماحةَ السيد الأستاذ (دامَ ظلُّهُ الشريفُ)

قد أخرجَ عبائرهما مِن كَتْمِ الإغلاق والتعقيد ، وصبَّها في قوالبَ جديدة تتسمُ بلطفِ الصياغةِ وحُسْنِ البيان ، فأوضحَ بذلك مغلقاتها وحلَّ معضلاتها وعالجَ مبهماتها .

٣ / **الميزة الثالثة** : التركيزُ على المحاور الأساسية ، فإنَّ الكتاب رغمَ كونهِ قد كُتبَ بصيغةِ الحاشية والتعليق ، وهذا النحو من الكُتبِ وإنْ كانَ كاتبهُ غيرَ مقيدٍ بالتعليق على موضعٍ خاصٍ بعينهِ، بل باختيارهِ أنْ يُعلِّقَ على المواضعِ السهلةِ ويجتنب المواضعَ الشائكة ، غير أنَّ السيد الأستاذ (دامَ ظله الشريف) تميّزَ في تعليقتهِ الشريفة بالتركيزِ على المحاور الأساسيةِ والمواضعِ الدقيقةِ في كلماتِ الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره ، موضّحاً لها تارة ، ومحققاً لنكاتها تارةً أخرى بكلِّ عمقٍ وقوة .

هذهِ كانت بعضُ مزايا (منهاجِ فقاهة) سيدنا الأستاذ (دامت بركاته) ، والمزايا الأخرى أترك لأرباب الفضل والعلم اكتشافها .

ولا يسعنا – ونحن في نهايةِ مطاف هذهِ المقدمة – إلا أنْ نمدَّ أيدي الضراعةِ إلى اللهِ تعالى ليحفظَ سيدنا الأستاذ المفدى مِن كلِّ سوءٍ ومكروه ، ويديمَ ظلالَهُ وارفةً على رؤوس المؤمنين ، بحق أجدادهِ الطاهرين (صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين) .

٢٢ / ١١ / ١٤٣٠ هـ

أضواء على كتاب (فقه الاجتهاد والتقليد)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على أشرف بريته وخير خلقه محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

أما بعد :

مِن خلال هذه المقدمة نريد أولاً أن نسلِّطَ الأضواء على الكتاب، ثمَّ نسلّطها على عملنا فيه .

كتاب (الاجتهاد والتقليد) في سطور :

وتعريفاً لهذا الكتاب – الماثل بين يدي القارئ الكريم – نختصرُ ذلك في عدّة سطور :

الأول: إنَّ محتويات هذا الكتاب عبارة عن أبحاث عالية المستوى – وهي المعبّر عنها في العرف الحوزوي ببحث الخارج – تدور حول مسائل الاجتهاد والتقليد من كتاب (العروة الوثقى)، وقد طرحها سماحة السيد الأستاذ الروحاني دام ظله على مجموعةٍ من الفضلاء في الحوزة العلمية المباركة بمدينة قم المقدسة ، في شهر رمضان المبارك .

---

(١) طُبع تقديماً للطبعة الثانية الصادرة عن دار (كلبه شروق) بقم المقدسة ، سنة ١٤٣٤ هـ .

وقد جرت عادة أعلام الحوزة العلمية المباركة – الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية التدريس وتربية الفضلاء والمجتهدين– أن يستغلوا أوقات شهر رمضان المبارك – حيث تعطّل فيه الدروس العامة ، لكونهِ من المواسم التبليغية والعبادية – لتدريس بعض الدروس المُعبّر عنها بـ (الدروس التعطيلية) ، ويعتبرون ذلك من أفضل الطاعات والقربات .

وعادةً ما تتناولُ هذه الدروس محوراً محدوداً يتناسب مع محدودية المدة ، كأن يكون قاعدة من القواعد الفقهية ، أو باباً صغيراً من أبواب الفقه ، أو مطلباً من المطالب الأصولية بالغة الأهمية ، وهكذا .

وقد كان ديدن الأستاذ دام ظله منذ القدم على الاشتغال بذلك ، ولا زالت مسيرته المعطاءة مستمرةً عليه إلى هذه السنوات الأخيرة التي حظينا فيها بمعرفته ، والاستفادة من نمير منبره[1] ، فيبدأ بإلقاء بحوثه من أول ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك إلى آخر ليلة منه بلا استثناء ، حتى أنني استنكرتُ عليه التدريس في ليالي شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي : إنها من ليالي القدر المباركة ، والذي انتهى إلينا من أعلام الطائفة – كابراً عن كابر– أنَّ مذاكرة العلم هي أفضل أعمال ليالي القدر ، فعملاً بذلك وبما دلَّ على استحباب تعظيم الشعائر نجمع بين البحث وإحياء الشهادة ، فكانَ (دامت بركاته) يواصل إلقاء أبحاثه ، وريثما ينتهي يصعد الخطيب المنبر ناعياً أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) ومن الملفت استمراره (دام ظله) على ذلك إلى آخر سنة اشتغل فيها بالتدريس ، وهي : سنة ١٤٣٥ هـ ، حيث درّسَ في رمضانها كتاب (الجهاد) ، وكان عمره الشريف حينها قد بلغ التسعين ، فلم تمنعه من ذلك متاعب الشيخوخة رغم شدّة ضراوتها وقساوتها .

الثاني : إنَّ هذا الكتاب قد حبرته يراعة أحد أبناء عمومة سيدنا الأستاذ (دام ظله الشريف) وتلامذته ، وهو سماحة المرحوم العلامة السيد هادي الحسيني الروحاني (عطَّرَ الله مثواه)، وقد حازَ تقريره رضا سماحة الأستاذ ، حتى أنه نقلَ منه في موسوعته الجليلة (فقه الصادق) مباحث العدالة بتمامها، وعرّفه قائلاً : " وقد استوفينا الكلام فيها حين تدريس المباحث المتعلقة بالاجتهاد والتقليد ، وقد تصدى لتحريرها وإخراجها إلى عالم الظهور أحد الأفاضل من الحاضرين للبحث ، وحيث إنَّ ما كتبه وحرره من تقريره أبحاثي في ذلك الكتاب كان وافياً بما نقحناه ، مؤدياً لما حققناه ؛ فلذا أذكر في المقام عين ما كتبه في مبحث العدالة"[1].

الثالث : إنَّ هذا الكتاب – كما كُتِبَ على غلافهِ – قد طُبِعَ سنة (١٣٧٧هـ) تحت عنوان (رسالةٌ في الاجتهاد والتقليد) ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ ولادة سماحة السيد الأستاذ الروحاني (دامَ ظله الشريف) قد كانت سنة (١٣٤٥هـ) فهذا يعني أنَّ الكتاب قد تمَّت طباعته وعمر السيد الأستاذ لا يتجاوز الثانية والثلاثين ، وبما أنَّه يُستبعد أن تكون سنة الطباعة هي نفسها سنة البحث – نظراً لكون البحث من الأبحاث الرمضانية الواقعة في الأشهر الأخيرة من السنة – فهذا يعني أنَّ هذه الأبحاث تعود إلى وقتٍ أسبق ، والملفت للنظر أنَّ سماحته وهو في هذه السن قد فرغ من تنقيح مبانيه الأصولية وتحقيقها ؛ ولذا كان كثيراً ما يحيل إليها في ثنايا الكتاب ، وهذا من ملامح

(١) فقه الصادق : ٦ / ٢٢٨ .

التميّز التي تُسجّل في حياة سماحة السيد الأستاذ (دامت بركاته)[1].

الرابع : بما أنَّ هذا الكتاب يعود إلى سبعٍ وخمسين سنة منصرمة؛ لذلك تعذّرَ الحصول على نسخةٍ منه حتى عند سماحة السيد الأستاذ نفسه .

وبعد العثور على إحدى نسخهِ تمَّ العملُ على إحياء الكتاب مجدداً، فقطّعتُ عباراته وفقاً لعلامات الترقيم المتعارفة ، وأخرجتُ مصادر الروايات والأقوال التي اشتملَ عليها ، وبما أنَّ المدة التي تمَّ إلقاء أبحاث هذا الكتاب فيها كانتْ مدة ضيقة ؛ لذلك كانت بعض عباراته مشوبةً بالغموض ، وبعض مطالبه تمَّ الاكتفاء بالإشارة إليها ، فتمَّت إعادة صياغة بعض عباراته بإجازةٍ من سماحة مولاي الأستاذ ، كما تمَّ تذييل الكثير من مطالبه التي لم يسع الوقت لبحثها بتذييلات مستفادة من تراث سماحة السيد الأستاذ دام ظله ، المتمثل في كتابيه الفقهيين : (فقه الصادق) و (منهاج الفقاهة) ، وكتابه الأصولي : (زبدة الأصول).

---

(١) قال دام ظله في نهاية كتابه الأصولي (زبدة الأصول) : (وقد كنتُ كتبتُ في الأصول مرّات ، وفرغتُ منه في المرّة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ) ، وهذا يعني أنّه قد انتهى من أوّل كتابة أصولية له وهو دون العشرين من العمر، فسبحان الواهب المنّان .

وختاماً : أتشرف بتقديم ثواب المجهود المبذول في إحياء هذا الكتاب هدية متواضعة لسماحة سيدي الأستاذ (دامت بركاته) ، لعلّي أقضي بعض حقوقه وأكافئ بعض أياديه ، وأسال من الله العليِّ القدير أن يديم ظله وبركته علينا وعلى جميع الحوزات المباركات ، بل على العالم الشيعي كلّه ، إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآلهِ الطاهرين ، سيما إمام زماننا ووليِّ نعمتنا (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) ، وعمته الجليلة ، بضعة الأئمة وكريمة أهل العصمة : السيدة فاطمة المعصومة (عليها وعليهم جميعاً آلاف التحية والسلام) .

ضياء بن المرحوم السيد عدنان الخباز القطيفي
قم المقدسة
الخميس ٧ / ٦ / ١٤٣٤ هـ

أضواء على كتاب (فقه المسائل المستحدثة)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللّهُ على محمّد وآله الطاهرين ، واللعن الدائم المؤبّد على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام الدين .

بما أنّ شريعة الإسلام الخالدة هي خاتمة الشرائع الإلهيّة ؛ لذلك تحتّم أن تتّسع قوانينها وأحكامها بمقدار ما تتّسع له حدود الزمان والمكان من التواجد البشري ، وما يكتنف وجوده من مظاهر الرقيّ والتطوّر .

وهذا – لعمري – أحد أسرار إعجاز هذه الرسالة الخاتمة ، وبرهان ناصع على كونها مسك ختام السلسلة الإلهيّة المباركة ، التي كان فاتحة وجودها نبيّ اللّهُ آدم عليه السلام ، وخاتمة وجودها أشرف أنبياء اللّهُ تعالى ، وأفضل رسله ، نبيّ القرآن (محمّد) صلى الله عليه وآله .

ومن هنا تولّد فقهُ المسائل المستحدثة ، أعني بها : " المسائل التي لم تكن موضوعاتها موجودة في زمن المشرّع ، كمسائل زراعة الأعضاء ، أو كانت موجودة ولكن طرأت عليها في المرحلة الفعليّة بعض التطوّرات ، التي أوجبت تكوين رؤية جديدة حول موقعها في منظومة التشريع ، كمسألة بيع الدم".

وإنّ قدرة الفقه الإسلامي على استيعاب هذه المسائل ، ومعالجتها معالجة دقيقة من خلال القرآن الكريم والسنّة

(١) صدر عن (حديث دل) بطهران سنة ١٤٢٥ هـ .

واضح على كون شريعة الإسلام الخالدة هي الشريعة الخاتمة ، التي تستطيع من خلال سعة حدود دائرتها القانونيّة أن تستوعب كلّ جديد حادث ، لتضعه في موقعه المناسب له في لائحة التشريع.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك : (فقه المسائل المستحدثة) لأحد أكابر فقهاء العصر، يحكي لك حقيقة ما ذكرناه من أصالة التشريع الإسلامي وشموليّته ، كما يحكي في الوقت نفسه عن مدى الإبداع العلمي ، وقوّة الفقاهة ، ودقّة تطبيق الكبريات على صغرياتها ، لدى مؤلّفه المعظّم سماحة سيّدي الاستاذ الروحاني (دامت بركات وجوده) .

وقد برزت أهمّية هذا الكتاب الشريف من خلال تعدّد طبعاته ، ونفوذ نسخه ، واعتماده مرجعاً أساسيّاً لأكثر مَن كتب في فقه المسائل المستحدثة ، أو عالجها معالجة درسيّة حوزويّة[1] .

وكان من نِعم اللّهَ – التي لاتحصى علَيَّ – أن شرّفني سماحة مولاي الاستاذ دام ظله بمراجعة هذا الكتاب ، وإعداده للطباعة والنشر للمرّة الخامسة؛ نظراً لندرة نسخه ، وعدم مناسبة صورته السابقة مع تقنيّة الطباعة الحديثة .

فبذلت جهدي ، واستفرغت طاقتي في ترقيم الكتاب ، وتخريج الآراء الفقهيّة المذكورة فيه من خلال مصادرها الأساسيّة ، وتطبيق

---

(١) وممّن اهتمَّ بهذا الكتاب الشريف من الأعلام :
١ . الشيخ جعفر السبحاني (دام تأييده) في كتابه (مسائل فقهية مهمة) : ١٥ ، وكتابه الآخر (رسائل فقهية) : ٧ / ٤٤٤ ، وعبّر عن السيّد الأستاذ بـ (الفقيه المعاصر) .
٢ . السيّد كاظم الحائري (دام تأييده) في كتابه (فقه العقود) : ١ / ١٦٦ .
٣ . الشيخ محمد السند البحراني (دام تأييده) في كتابه (فقه الطب والتضخم النقدي) : ٢٢ .

التخريجات الموجودة فيه للروايات الشريفة على مصادر تخريجها ، مضافاً إلى عنونة بعض مطالب الكتاب عنونة جديدة، وعرض بعض الروايات المشار إليها في مطاويه ، وغير ذلك ممّا يتوقّف عليه إعداد الكتاب وإخراجه .

ويشرّفني – وأنا في نهاية هذه المقدّمة – أن اقدّم ثواب ما بذلته من الجهد في إعداد هذا الكتاب هديةً متواضعة إلى سماحة سيّدي الاستاذ (دامت بركات أيّام وجوده) تقديراً لبعض جهوده ، ووفاءً لبعض أياديه .

سائلًا من المولى سبحانه وتعالى أن يطيل في عمره الشريف، ويمتّعنا بطول بقائه ، ويوفّقنا لأداء بعض حقوقه .

وآخر دعوانا أنّ الحمد للّهِ ربّ العالمين ، وصلّى اللّهُ على أفضل بريّته ، وأشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين ، واللعنة الدائمة المستمرّة على أعدائهم وغاصبي حقوقهم أجمعين أبد الآبدين .

أقلّ تلامذة المؤلّف
ضياء السيّد عدنان الخباز القطيفي
ليلة الجمعة ٢٢/ ٤/ ١٤٢٥ هـ
حرم آل محمّد (عليهم السلام) - قم المقدّسة

---

(١) وممّا يجدر توثيقه هنا : إنَّ السيد الأستاذ ﷾ حين طبع كتابه هذا أوّل طبعة ، أرسل نسخة منه لأستاذه الكبير، سماحة آية الله العظمى ، السيّد محمد هادي الميلاني (قدّس الله نفسه الزكية) ، فأجابه برسالة تقديريةٍ بتاريخ ٢٠ ربيع الأوّل سنة ١٣٨٥ هـ جاءَ فيها :
(وصلني – عن طريق البريد – كتابكم الشريف " المسائل المستحدثة " في وقته ، وأنا في غاية الامتنان لكم ، وأعترف بتقصيري وأعتذر عن عدم توفيقي للمبادرة إلى شكركم . فدمتَ والعلم يبتهج بأنّك رافع أعلامه ، ولا زالت الأفئدة تهوي إليك ، وتدعوا لك بألسنتها وأقلامها) . نامه هاى تاريخى : ٢٣٢ .

مسكُ الختام

وفي نهاية هذه الرحلة في رحاب حياة سيدنا الأستاذ (دامت بركات وجوده) وآثاره العلمية الجليلة ، يطيب لي أن أختمها بقصيدةٍ شعرية كنتُ قد كتبتها أيّام تشرفي بالحضور تحت منبره الشريف ، حين طرقَ سمعي نبأُ تعرضّهِ لوعكةٍ صحيّة شديدة ، نُقلَ على إثرها للمشفى ، وبقي فيه أياماً عديدة ، وكانت الفرحة بتجاوزه لتلك الأزمة الصحيّة فرحةً غامرة ، وممّا ضاعف من عنفوانها احتفاءُ المراجع العظام بسلامة الأستاذ ، ومسارعتهم إلى عيادته وتهنئته بالسلامة ، كما وثّقت ذلك عدسات الكاميرا .

" تحيةٌ لشفاءِ الأستاذ "

كُتِبت هذهِ القصيدة بمناسبةِ تماثل الأستاذ الأعظم ، سماحة آية الله العظمى ، المرجع الديني الكبير ، السيد محمد صادق الروحاني للشفاء (ألبسهُ اللهُ لباسَ العافية ، ومتعَ المسلمينَ بطول بقائهِ)

دُم للزعامةِ والفقاهةِ سالما ... وَشُفيتَ مِن دَاءٍ ألمَّ فَآلَمَا
داءُ أصابكَ قد أصابَ قلوبَنَا ... بِسهامهِ ، بل قد أصابَ العالَمَا
بِكَ شِرْعةُ المختارِ يَسْطعُ نورُها ... فَسناكَ يخترقُ الظلامَ القاتِمَا
قالوا اعتللتَ فأظلمتْ جنباتُها ... والشرعُ منذُ مَرِضْتَ لم يُرَ باسما
فلأنتَ للدينِ القويمِ ملاذُه ... والحوزةُ الغرَّاءُ أنتَ لها الحِمى
أفنيتَ عُمْرَكَ في الدفاعِ عن الهدى ... ودَرَأْتَ عنهُ أَسِنّةً وصوارما
ورفعتَ للحوزاتِ رايةَ عزة ... وبنيتَ للفقهِ الشريفِ دعائما
جاهدتَ شاهَ الظالمينَ وحزبَه ... حتى دَحَرْتَ إلى الجحيمِ الظالِما
فإذا اعتللتَ فليسَ بِدْعَاً أَنْ يُرى ... دينُ النبيِ المصطفى متألما
وإذا شُفِيتَ فليسَ بِدْعَاً أنْ يُرى ... ثَغْرُ الفقاهةِ والزعامةِ باسما
للعلمِ قرَّت مُذ شُفيتَ عيونُهُ ... لولا شِفاؤكَ قد أُصيبتْ بالعمى
والحوزةُ العظمى بِبُرئِكَ بَحْرُها ... قد عادَ ساكنُ مائهِ مُتلاطما
وبلادُ (قُمٍ) كالعروسةِ قد غدت ... لما رجعتَ لها معافىً سالما
وحضورُ بحثِكَ مُذ بَرِئتَ قد ارتووا ... لولا شفاؤكَ أهلكَ الكلَّ الظما
بُشراكِ (قمُ) بِبرءِ سيدّكِ الذي ... لولاهُ فوقَ الأرضِ أطبقت السما
أنا لستُ أدري مَن أهنِّيهِ بهِ ... بشفائهِ يكفي أُهنّي " القائما "
ولهُ أمدُّ يدَ الضراعةِ سائلاً ... لكَ سيدي منهُ شفاءً دائما

ليظلَ (مِنهاجُ الفقاهةِ) واضحاً ... يَهدي لِمن ضلَّ الطريقَ معالما
ويظلَ (فِقهُ الصادقِ) الكنزَ الذي ... مَن حَازَهُ حازت يداهُ مغانما
يا سيّدَ الشرعِ الشريفِ تحيةً ... مِن مخلصٍ بِهواكَ صارَ مُتيما
ما زالَ منذُ مرضتَ يزفرُ آهَهُ ... حتى شُفيتَ شُفيْ ، وَصارَ مُنَعّمَا
دُم لي أَبَاً أحيى بِوَارفِ ظِلِّهِ ... دُم لِي – فدَيتُكَ – مُرشداً ومُعلِمَا

ضياء السيد عدنان الخباز

" القطيف "

الأربعاء : ٦ / ١١ / ١٤٢٩ هـ

عروجٌ على أجنحة الملائكة

قالوا : ترجَّلَ ، قلتُ : لا يترجلُ ... فالموتُ أصغرُ من مداهُ وأضألُ
عُمْرٌ بحجم الدهر يشمخُ خالداً ... ما الموتُ بينَ يديهِ إلا أعزلُ
قالوا : هوى منهُ اللواءُ ، فقلتُ : صَهْ ... ما كانَ يسقطُ والملائكُ تحملُ
فرشت لهُ الأملاكُ أجنحةَ العُلى ... لِتطا عليها حين يخطو الأرجلُ
ومَن ارتقى الأملاكَ طاولَ مجدُهُ ... قممَ السماءِ فلا يعود وينزل
قالوا : لقد جفَّ المدادُ ، فقلتُ : صَهْ ... أيجفُّ وهوَ من الأئمةِ ينهلُ !
ما زال يجري في عروق حروفنا ... فيصبُّ منه بكلِّ حرفٍ جدولُ
قالوا : لقد كُسِرَ اليراعُ ، فقلتُ : صه ... هذا نتاجُ يراعهِ يتهللُ
يكفيهِ (فقهُ الصادقِ) الوَهَجُ الذي ... منه عقولُ ذوي النباهةِ تذهلُ
قد جاءَ فيهِ بآيةٍ علميةٍ ... وكأنَّهُ وحيٌ عليهِ مُنزَّلُ
خضعت نواصي العلم طُرّاً عندَهُ ... فخراً وأنكرَ فضلَهُ مَن يجهلُ
قالوا : لقد أفل الضياءُ ، فقلتُ : صه ... فالشمسُ ساطعُ نُورِها لا يأفُلُ
هيهاتَ تغتالُ الحوالكُ شُمسَهُ ... فالعلمُ يُسرِجُ ما سواهُ ويُشعِلُ
قالوا : لقد فُلَّ الحسامُ ، فقلتُ : صهُ ... ما فُلَّ "لا" فهو الحسامُ المُصقلُ
ما قد ونى يوماً بمعترَكِ القنا ... فبقلبهِ (السبطُ الحسينُ) يجلجلُ
وإذا الهزبرُ قد استراحَ سويعةً ... ما كان عند أولي البصائر يُعذل
إذ حقُّهُ أن يستريحَ فطالما ... نأت الجبالُ بحمل ما هو يحملُ
قالوا : مضى نحوَ الجنانِ ؟ فقلتُ : إي ... منها أتى ولها يعودُ ويرحلُ
في طبعهِ الملكوتُ كانَ مُجسّداً ... والخُلْدُ في قسماتهِ يتمثلُ
قد كانَ يكسوهُ الجمالُ بحلّةٍ ... لكنّهُ منها أرقُّ وأجملُ
قالوا : تلقتهُ البتولُ ؟ فقلتُ : إي ... فالأمهاتُ لها تعودُ الأشبُلُ
قد كانَ يحتضنُ البتولَ بقلبهِ ... واليومَ في كنَفِ البتولِ يُدلّلُ

مـــا كـــانَ إلا حـبُّـهـا زاداً لـــهُ ... والـيـومَ مِـــن زاد البتولةِ يـأكـلُ
وأراهُ وافـــى حـوضَـهَـا وبـكـفَـهـا ... مـــن مـــاءِ كوثرِها يـعبُّ وينهلُ
قـالوا : أصـيبَ العلمُ فيهِ ؟ فقلتُ : إي ... لا غـرو فـهـو لـــهُ الحمى والمعقلُ
أو لـيـسَ آخـــى الـعـلـم قـرنـاً كـامـلاً ... فـفـراقُـهُ يُـدمـي حـشـاهُ ويُـثـكـل
قـالـوا : الأئـمةُ قـد نـعوهُ ؟ فـقلتُ : إي ... فـالـكـلُّ يـنـعـى جـــزءَهُ ويُـحوقِلُ
قـالوا : بـهِ الـمهديُّ أُفـجِعَ ؟ قـلتُ : إي ... مَـــن مـــاتَ نـائبُهُ يُـصابُ ويُـثكلُ
وكـأنـنـي رغـــمَ الـنـوى أُصـغـي لـــهُ ... وأراهُ مـــا بـيـنَ الـجـموعِ يـرتِّـلُ
لا صـــوَّتَ الـنـاعـي بـفـقـدكَ إنَّـــهُ ... يـــومٌ عـلـى آلِ الـرسـولِ مُـجلْجِلُ
قـالوا : بـكتهُ الأرضُ ؟ قـلتُ : بكته إذ ... أطرافُـهـا نُـقِـصت فـهـا هـيَ تُـعول
أوَ لـيـسَ ركـنـاً كانَ مـن أركـانـهـا ... ولـــذاكَ كـادت بـعـده تـتـزلـزلُ
قـالوا : اعـتراكَ اليتمُ؟ قلتُ لهم : بلى ... يـتـمٌ عـلـى يـتـمٍ بـــهِ أتـسربلُ
بـالأمس شـمسُ الـفقهِ غـادرَ أفقه ... والـيـومَ صـادقُـهُ ، فـأيـنَ الـمـوئلُ ؟
ظـلّـيـنِ كـانـا لـي ولـمّـا قـوَّضَـا ... مـا عـادَ لـي ظـلٌ بـــهِ أتـظـلّـلُ
إلا ظـــلالَ مَـــن الـوجـودُ بـأسـرهِ ... فـــي ظـلِّ رايـتـهِ الـشريفةِ يـرفـلُ
قُـطـبُ الـعـوالـمِ والـمـراجعُ ظـلُّـهُ ... بِـهـمُ عـلـينـا لـم يـزل يـتطولُ
عـيـنُ الـحـيـاةِ وهـــم سـواقـي مـائـهِ ... مـنـهـم يـصبُّ لـنـا الـفراتُ السَلْسَلُ
أبـــوابُ بـــابِ اللّهِ مَـن لـم يـأتـهـم ... لـم يـأتـهِ فـهـمُ الـطـريـقُ الـمُوصِلُ
مـرمـى سـهـامِ الـحاقـديـنَ وكـيـفَ لا ... وبـهـم جـــذورُ ولائـنـا تـتـأصـلُ
مَـن قـد رمـاهـم مـا رمـاهـم بـل رمـى ... مـــن كـفّـهِ جـسـدَ الـتـشيّعِ مِـعـولُ
دامـــت ظـلالـهـمُ الـشريـفـةُ فـوقـنـا ... حـتـى يـســودَ الـعـالـمينَ مـؤمَّـلُ
وتـــرفَّ رايـتُـهُ بـعـرصـةِ كـربـلا ... وبـيـا لـثـارات الـحسين يـبسـمـلُ
ووراهُ نـحـنُ وفـــي الأكـــفِّ سيوفنا ... ونـبـيـعُ أنـفـسـنـا لـــه ونُـحـمـدلُ

فهرس

إطلالةٌ على السيرةِ الذاتيـة ٦
أسرته ٦
مسيرتُهُ العلمية ٧
أساتذته ٩
إجازته بالاجتهاد ١٤
العلاقة بينه وبين أستاذه الخوئي قدس سره ١٥
التصدّي للتدريس ٢٣
مزايا درسه الشريف ٢٦
تلامذته ٢٨
مؤلفاته ٣٩
جهاده ٤٠
مرجعيته المباركة ٤٢
أخلاقه الجميلـة ٤٥
بين يدي الأستاذ الروحاني دام ظله ٤٧
المَعْلَمُ الأول : عشق العلم ٤٧
الشاهد الأول ٤٨
الشاهد الثاني ٤٨
المَعْلَـمُ الثاني : الاهتمام بالحوزة المشرفة ٤٩
الموقف الأول ٥٠
الموقف الثاني ٥٠
المَعْلَـمُ الثالـث : توقير مقـام المرجعيـة الدينيـة ٥١
المظهر الأول ٥١
المظهر الثاني ٥٢
المظهر الثالـث ٥٢
المظهر الرابع ٥٣
المظهرُ الخامس ٥٥
المَعْلَـمُ الرابـع : الاهتمام بالعالم الإسـلامي والشيعي ٥٦
الموقف الأول ٥٦
الموقف الثاني ٥٧
الموقف الثالث ٥٨
المَعْلَـمُ الخامـس : الغيرة على الديـن ٦١
المظهر الأول ٦١
المظهر الثاني ٦٢
المظهر الثالث ٦٣

المظهر الرابع..... ٦٣
المَعْلَمُ السادس : مكارم الأخلاق ٦٤
السمة الأولى ٦٤
السمة الثانية ٦٤
السمة الثالثة..... ٦٥
السمة الرابعة ٦٦
السمة الخامسة ٦٧
المَعْلَمُ السابع : العلاقة مع اللّه تعالى ٦٨
١ – المحافظة على أداء الصلاة في أول الوقت ٦٨
٢ – البكاء عند الوقوف بين يدي اللّه تعالى ٦٩
٣ – المحافظة على السنن ٧٠
٤ – المراقبة والاحتياط..... ٧٠
المَعْلَمُ الثامن : العلاقة مع المعصومين (عليهم السلام) ٧٣
المَعْلَمُ التاسع : الأستاذ المربّي ٧٧
أ – الاهتمام بالنشاط العلمي للتلاميذ..... ٧٧
ب – سعة الصدر لتقبّل النقد والإشكال ٧٧
ج – الدعم المادي والمعنوي ٧٨
د – النصح والتوجيه والإرشاد ٧٩
هـ – إبراز مكانة التلميذ والإشادة به ٨٠
مكانة موسوعة (فقه الصادق) في الفقه الإمامي ٨١
الأمر الأوّل : كلمات الأعلام الذين أطروا الموسوعة وأثنوا عليها..... ٨٤
الأوّل : السيّد الخوئي قدس سره..... ٨٤
الثاني : السيّد محمد هادي الميلاني قدس سره..... ٨٥
الثالث : الميرزا مهدي الشيرازي قدس سره..... ٨٦
الرابع : السيّد محمّد الروحاني قدس سره ٨٦
الخامس : الشهيد السيّد محمد باقر الصدر (طابَ ثراه)..... ٨٧
السادس : الشيخ مرتضى الحائري قدس سره..... ٨٧
الأمر الثاني : استعراض أسماء الأعلام الذين اهتموا بمطالب (فقه الصادق) ومناقشتها.٨٩
عوامل تألق موسوعة فقه الصادق..... ٩١
العامل الأول ٩٢
العامل الثاني ٩٣
العامل الثالث ٩٤
العامل الرابع ٩٤
العامل الخامس ٩٥

العامل السادس..... ٩٦
العامل السابع..... ٩٦
العامل الثامن..... ٩٧
العامل التاسع ٩٧
مميزات دروس السيد الروحاني الفقهية..... ٩٨
أ – الميزة الأولى..... ٩٨
ب – الميزة الثانية ٩٩
ج – الميزة الثالثة ٩٩
فقه الصادق والهمة العالية..... ١٠٠
كرامة فقه أهل البيت عليهم السلام..... ١٠٤
١ – الكرامة الأولى ١٠٤
٢ – الكرامة الثانية ١٠٦
كلمة الختام ١٠٧
أضواء على كتاب (زبدة الأصول)..... ١٠٩
١ / الميزة الأولى : التتبعُ والجامعية ١١٥
٢ / الميزة الثانية : التحقيقُ العلمي ١١٧
٣ / الميزة الثالثة : جمالُ البيان وإيجازه ١١٨
أضواء على كتاب (منهاج الفقاهة) ١٢١
الأمر الأوّل ١٢٥
الأمر الثاني ١٢٦
الأمر الثالث ١٢٧
١ / الميزة الأولى ١٢٨
٢ / الميزة الثانية ١٢٨
٣ / الميزة الثالثة ١٢٩
أضواء على كتاب (فقه الاجتهاد والتقليد) ١٣١
كتاب (الاجتهاد والتقليد) في سطور ١٣١
الأول ١٣١
الثاني ١٣٣
الثالث ١٣٣
الرابع ١٣٤
أضواء على كتاب (فقه المسائل المستحدثة) ١٣٧
مسكُ الختام ١٤٠
" تحيةٌ لشفاءِ الأستاذ "..... ١٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدنا الجليل ، سليل بيت المجد والعلم والشرف ، سماحة حجة الإسلام : السيد جواد الروحاني (دام عزه) .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعزّيكم والأسرة الكريمة جميعاً - كما أعزّي نفسي - برحيل والدنا الحنون ، وأبينا المربّي ، صاحب الأخلاق الإلهية ، والشمائل الملائكية ، أستاذنا وملاذنا ومجدنا وفخرنا ، وصاحب الفضل الكبير علينا ، عزّ الشيعة ، وملاذ الشريعة ، نابغة العلم وسلطان الفقه ، الآية العظمى والحجة الكبرى ، المرجع الديني الكبير ، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (أعلى الله تعالى درجته ، ورزقنا شفاعته)، فإنَّ رحيله لخسارة لا تُعوّض ، ومصيبة لا تُجبر ، وثلمة لا تُسد ، ولكننا لا نملك إلا الرضا والتسليم ، وما سلوتنا إلا قول الله (تبارك وتعالى) مخاطباً نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ .

وبهذه المصيبة الكبرى فإني أرفع لكم ولجميع أفراد الأسرة الكريمة - سيما الوالدة المكرمة (حفظها الله تعالى) - أحرّ التعازي وخالص المواساة ، وأسأل الله تعالى لسيدنا الأستاذ الأعظم - بما بذل من نفسه ، وأعطى من وقته ، وقدَّمَ من جهده - رفيع الدرجات عند أجداده الميامين الهداة عليهم السلام، ولكم طول العمر وجميل الصبر وجزيل الأجر ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

التلميذ الأصغر للأستاذ الأكبر

ضياء الخباز

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة)

بيد مرتعشة وفكر مذهول وقلب مثكول أنعى رحيل والدي المعظّم، وأستاذي الأعظم ، المرجع الديني الكبير ، سماحة آية الله العظمى ، الفقيه الرباني ، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني (قدّس الله نفسه الزكية) .

فإنّ برحيله المؤلم قد تنكسّت رايةٌ خفّاقة من رايات الدفاع المستميت عن المذهب الشريف والعقائد الحقة ، وتهاوت منارةٌ شامخة من منارات العلم والفقاهة ، وتداعى ركنٌ راسخ من أركان المرجعية والزعامة ، وأُغمد حسامٌ صارمٌ من صوارم الجهاد والبطولة ، وانهدمت قلعةٌ صلبةٌ من قلاع التشيّع الحصينة ، وطويت صفحةٌ حافلةٌ من صفحات الشعائر الحسينية المباركة ، وانكسرَ قلمٌ معطاءٌ من أقلام الفقه والأصول والمنقول والمعقول ، وجفّ مدادٌ سيّالٌ من أمدّة الفكر الأصيل والمعرفة الصافية النقيّة ، وثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة ، فالخسارة بفقده عظيمةٌ لا تعوّض ، والمصيبة برحيله جليلة لا تجبر ، والجرحُ بمصابه كبيرٌ لا يلتئم .

واني لأرفع خالص عزائي لإمامي المفدّى ، سلطان العصر وإمام الزمان (روحي وأرواح العالمين له الفداء) ، ومراجع الطائفة العظام (أدام الله بركات وجودهم) ، والحوزة العلمية الشريفة ، وأسرته أسرة العلم والفقاهة ، سائلاً من الله تعالى أن يجبر مصابي ومصابهم بتعجيل فرج إمامنا المهدي المنتظر (أرواحُ مَن سواه فداه) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وانّا لله وانّا إليه راجعون .

تلميذه المفجوع

ضياء الخباز

ليلة السبت الموافق لتاريخ ١٤٤٤/٥/٢٢هـ